ابن عبد ربه

تحت ظلال القنا

892.78
I13141kA
v.2

LIBRARY

٢

تحت ظلال القنا

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب،
فيه أدب – وأقوال – ونوادر – وملح –
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

•

تحت ظلال القنا

هو كتاب الفريدة الأولى من العقد،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

892.708
I132ika
٢
v.2
c.1

تحت ظلال القنا

مكتبة صادر
بيروت

الحقوق محفوظة لمكتبة صادر

مطبعة المناهل : ٥٦ – ١٩٥١

كتاب الحروب

قال أحمد بن محمد بن عبد ربّه: قد مضى قولُنا في السلطان وتعظيمه، وما على الرعيّة من لزوم طاعته، وإدامة نصيحته؛ وما على السلطان من العدل في رعيته، والرفق بأهل مملكته.

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الحروب ومدار أمرها، وقوْدِ الجُيوش وتدبيرها، وما على المدبّر لها من إعمال الخُدْعة، وانتهاز الفرصة، والتماسِ الغِرّة، وإذكاء العُيون، وإفشاء الطَّلائع، واجتنابِ المَضايقِ، والتحفُّظِ من البَيات[1]؛ هذا بعدَ معرفةِ أحكامِها، وإحكامِ معرفتِها، وطولِ تجربته لمُقاساةِ الحروبِ ومُعاناة الجيوش، وعِلْمِه أن لا دِرْعَ كالصَّبرِ، ولا حِصْنَ كاليَقين؛ ثم نذكر كرمَ الإقدامِ، ومحمودَ عاقبته، ولُؤمَ الفِرار، ومَذْمومَ مَغبّتِه، والله المُعين.

---

١ البيات: الهجوم ليلًا.

صفة الحروب

الحرب رحى ثِفالها[1] الصّبْر، وقُطْبها[2] المَكْر، ومدارُها الاجتهاد، وثقافُها[3] الأناة، وزمامُها الحَذَر؛ ولكلّ شيء من هذه ثمرةٌ، فثَمرةُ الصبر التأييدُ، وثمرةُ المكر الظفَرُ، وثمرةُ الاجتهادِ التوفيقُ، وثمرةُ الأناة اليُمنُ، وثمرةُ الحذَر السلامةُ، ولكلّ مقامٍ مقالٌ، ولكلّ زمانٍ رجالٌ، والحرب بين الناس سجال[4]، والرأي فيها أبلغُ من القتال.

•

قال عمر بن الخطاب لعَمرو بن مَعْدِيكرِب: صِفْ لنا الحرب.

قال: مُرة المَذاق، إذا كشفت عن ساق[5]؛ من صَبَر

---

١ الثفال: جلد يوضع تحت الرحى يقع عليه الدقيق.

٢ قطبها: ما تدور عليه.

٣ الثقاف: ما تثقف به، اي تقوم به.

٤ الحرب السجال: ما تكون تارة لفريق وتارة لآخر.

٥ كشفت الحرب عن ساقها: اشتدت.

فيها عُرِف ، ومن نكل[1] عنها تلِف . ثم أنشأ يقول :

الحَرْبُ أوّلُ ما تكون فَتِيّةً ،
تَسعَى بزينتِها لكلّ جَهُولِ

حتى إذا حَمِيت وشَبّ ضِرَامُها ،
عادت عجوزاً غَيرَ ذاتِ خليلِ ،

شَمْطاءَ جَزّت رأسَها وتنكّرَت ،
مَكْروهةً للشَّمّ والتّقْبِيلِ[2]

•

وقيل لعَنْترة الفوارس : صِفْ لنا الحرب ؛ فقال : أوّلها شكوى ، وأوسطها نجوى ، وآخرها بَلوى .

•

وقال الكُمَيت :

والناسُ في الحَرْبِ شتّى ، وهْيَ مُقْبلةٌ ،
ويَستَوُون إذا ما أدبرَ القُبُلُ[3]

---

١ نكل : نكص ، وجبن .

٢ الشمطاء : التي خالط سواد شعرها بياض .

٣ ادبر : ولى ، فر . القبل : اراد المقبل على الحرب .

كلٌّ، بأمْسِيِّها ، طَبٌّ ، مولِّيَةٌ ،
والعالِمون بذي غُدْوِيِّها قُلُل

•

وقال نَصْر بن سيَّار صاحبُ خراسان يصف الحرب ومُبتدأ أمرها :

أرى خَلَلَ الرَّمادِ وميضَ جَمْرٍ ،
فيُوشِكُ أن يكونَ له ضِرَامُ

فإنّ النّارَ بالعُودين تُذْكَى ،
وإنّ الحربَ أوّلُها الكلامُ

•

وفي حكمة سليمان بن داود عليهما السلام : الشرُّ حلو أوّلهُ ، مرّ آخره .

•

والعرب تقول : الحرب غشوم ، لأنها تنال غيرَ الجاني .

•

وقال حبيب[1] :

والحربُ تركَبُ رأسَها في مَشْهدٍ ،
عُدِلَ السَّفيهُ به بألفِ حَلِيمِ[2]

---

١ حبيب الطائي أبو تمام .
٢ السفيه : الجاهل ، الأحمق .

في ساعة ، لو أنّ لُقمانـاً بهـا ،
وهْوَ الحَكيم ، لكان غيرَ حَكيم

•

وقال أكثم بن صَيْفِيّ حكيم العرب : لا حِلْم لمن لا سَفيه له .

•

ونحو هذا قول الأحنف بن قيس : ما قلّ سفهاءُ قومٍ قطُّ إلا ذَلّوا .

وقال: لأن يُطيعَني سفهاء قومي، أحبُّ إليَّ من أن يُطيعَني حُلماؤهم .

وقال : أكرموا سفهاءكم ، فإنهم يَكْفونكم النارَ والعارَ .

•

وقال النابغة الجعدي :

ولا خيرَ في حِلْم ، إذا لم تكُن له
بَوادِرُ ، تَحْمِي صَفْوَه أن يُكَدَّرَا

وأنشد هذا الشعر للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهى الى هذا البيت ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا يَفضُض الله فاك . فعاش ثلاثين ومائة سنة لم تسقط له ثنيّة .

•

وقال النابغة الذبياني يصف الحرب :

تَبدو كواكبه ، والشمسُ طالعةٌ ،
لا النورُ نورٌ ، ولا الإظلامُ إظلامُ

يريد بقوله :

تبدو كواكبه ، والشمسُ طالعةٌ

شدةَ الهولِ والكربِ ، كما تقول العامة : أريتُه النجومَ وسطَ النهار .

قال الفرزدق :

أريك نجومَ الليل ، والشمسُ حيّةٌ

وقال طَرَفة بن العبد :

وتُريك النجمَ يَجْري بالظُّهُر

واليه ذهب جرير في قوله :

والشمسُ طالعةٌ ، ليستْ بكاسفةٍ ،
تبكي عليك ، نجومَ الليل والقَمَرا

يقول : ان الشمس طالعةٌ وليست بكاسفة نجومَ الليل ، لشدّة الغمّ والكرب الذي فيه الناس .

•

ومن قولنا في صفة الحرب :

ومُعْبَرِّ السماءِ ، إذا تَجلَّى ،
يُغادر أرضَـــه كالأرْجُـوانِ

سَمَوْتُ له ، سُموَّ النَّقْع فيه ،
بكلِّ مُذَلَّقٍ ، سَلِب السِّنان[1]

وكلِّ مُشَطَّبِ المَتْنين ، صافٍ ،
كلَون المِلْحِ مُنْصَلِتٍ يَماني[2]

كأنَّ نهارَه ظَلْماءُ لَيلٍ ،
كواكبُـه من السُّمْرِ اللِّدان[3]

وفي صفة المعترَك :

ومُعترَكٍ تَهُزُّ به المَنايا ذكورَ الهِنْدِ في أيدي ذكورِ

لوامعَ يُبصِرُ الأعمى سَناها ، ويَعمَى دونَها طَرْفُ البَصير

---

١ مذلق : محدد . سلب : طويل .

٢ مشطب : فيه طرائق . منصلت : صقيل ماض .

٣ السمر اللدان : الرماح اللينة .

وخافقةِ الذَّوائبِ قد أنافَتْ على حَمْراءَ، ذاتِ شَباً طَريرِ[1]

تُحوِّمُ حولَها عُقبانُ موتٍ، تخطَّفتِ القلوبَ من الصدورِ

بيومٍ راحَ في سِرْبالِ ليلٍ، فما عُرِفَ الأصيلُ من البكورِ[2]

وعينُ الشمسِ تَرنُو، في قَتامٍ، رُنُوَّ البِكرِ من بينِ السُّتورِ[3]

فكم قَصَّرْتَ من عُمْرٍ طويلٍ به، وأطَلْتَ من عُمرٍ قَصيرِ

---

١ خافقة الذوائب : الرايات . انافت: ارتفعت. الحمراء : أراد بها الرماح المخضبة بالدماء ، لان الرايات كانت ترفع على اسنة الرماح الشبا : شبه جمع لشباة: حد كل شيء . الطرير : المسنون .

٢ السربال : القميص ، الثوب .

٣ القتام : غبار الحرب .

العمل في الحروب

قيل لأكثم بنِ صيفيّ : صِفْ لنا العمل في الحرب ؛ قال: أقِلّوا الخلاف على أُمرائِكم، فلا جماعةَ لمن اختُلِفَ عليه، واعلموا أنّ كثرة الصِّياح مِن الفَشل[1]، فتثبّتوا فإنّ أحزمَ الفريقين الرّكين ، وربّ عجلة تُعقِبُ ريثاً . وادّرِعوا الليلَ[2] ، فإنه أخفى للوَيْل ، وتحفظوا من البيَات .

•

وقال شبيب الحروريّ: الليل يكفيكَ الجَبانَ، ونِصْفَ الشُّجاعِ .

وكان إذا أمسى يقول لأصحابه : أتاكم المددُ ، يعني الليل .

•

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها يوم الجمل، وسمعتْ منازعةَ أصحابها وكثرةَ صياحهم : المنازعةُ في الحرب خَوَرٌ، والصِّياح فيها فشل ، وما برأيي خرجتُ مع هؤلاء .

•

---

١ الفشل : الضعف والتراخي والجبن .

٢ ادرعوا الليل : البسوه ستراً لكم كما تلبسون الدرع .

وقال عتبة بن ربيعة لأصحابه يوم بَدر لما رأى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما تروهم خُرْساً لا يتكلمون، يتلمظون تلمُّظ الحيّات[1] ؟

•

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: مَن أكثر النظر في العواقبِ ، لم يَشجُع .

•

وقال النعمانُ بن مُقرّنٍ لأصحابه عند لقاء العدو : إني هازّ لكم الراية ، فليصلح كلُّ رجل منكم من شأنه ، وليَشُدَّ على نفسه وفرسه ؛ ثم إني هازُّها لكم الثانية ، فلينظر كلُّ رجل منكم موقع سهمه ، وموضعَ عدوّه ، ومكان فُرصتِه ؛ ثم إني هازُّها لكم الثالثة وحاملٌ ، فاحمِلوا على اسم الله .

•

وللنُّعمان بن مُقرّنٍ هذا يقول عُمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إذ تكاملت عنده الجنود وتطلَّع الصحابةُ الى التقدم عليها: لأفلّدنّ أعنّتها رجلًا يكونُ عدّاءً لأول أسنّةٍ يلقاها. فقلدها النعمانَ بن مُقرّن .

•

---

١ تلمظت الحية : أخرجت لسانها .

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : انتهزوا الفرصة ، فإنها تمرُّ مَرّ السَّحابِ ، ولا تطلبوا أثراً بعد عَين .

•

وقال بعض الحكماء : انتهز الفرصة ، فإنها خُلسةٌ ؛ وثِبْ عندَ رأسِ الأمرِ ، ولا تَثِبْ عند ذَنَبِه ؛ وإياكَ والعَجْزَ ، فإنه أذلُّ مَركَبٍ ؛ والشفيعَ المَهِينَ ، فانه أضعفُ وسيلة .

•

وخرجتْ خارجةٌ بخُراسان على قُتيبة بن مُسلم فأهمه ذلك ، فقيل له : ما يهُمُّك منهم ، وجِّه اليهم وكيعَ بن أبي سُود فإنه يَكْفيكَهُم .

فقال : لا ، ان وكيعاً رجلٌ به كِبْرٌ ، يحتقرُ أعداءه ، ومن كان هكذا فَلَّتْ مُبالاتُه بأعدائه فلم يحترس منهم ، فيجدُ عدوُّه غِرّةً منه .

•

وسئل بعض الملوك عن وثائق الحزم في القتال فقال : مخاتلة العدوّ عن الرِّيف[1] ، وإعداد العيون على الرَّصَد ، واعطاء المبلّغين على الصّدق ، ومُعاقبة المتوصّلين بالكذب ، وألاّ تُخْرِجَ هارباً

---

١ الريف : ما قارب الماء من الارض .

الى قتال ، ولا تضيّقَ أماناً على مُستأمن ، ولا تَشْدَهَنَّك[1] الغنيمةُ عن المحاذَرة .

•

وفي بعض كتب العجم: أن حكيماً سُئل عن أشدّ الأمور تدْريباً للجنود وشَحْذاً لها فقال : تعوُّد القتال وكثرتُه ، وأن يكون لها مواد من ورائها .

•

وقال عمرو بن العاص لمعاوية: والله ما أدْري يا أمير المؤمنين أشجاعٌ أنتَ أم جَبان ؟ فقال معاوية :

شُجاعٌ إذا ما أمكنَتْني فُرْصةٌ ، وإن لم تَكُنْ لي فُرصةٌ فَجَبان

•

وقال الأحنف بن قَيْس : إن رأيتَ الشرَّ يتركُك إن تركتَه فاتْرُكه .

•

قال هُدبة العُذْريّ :

ولا أتمنّى الشرَّ ، والشرُّ تاركي ،
ولكنْ متى أُحْمَلْ على الشرِّ أركبِ

ولستُ بِمِفْراحٍ ، إذا الدهرُ سَرَّني ،
ولا جازعٍ من صَرْفِه المُتقلّبِ

---

١ لا تشدهنك : لا تدهشنك .

الصبر والاقدام في الحرب

جمع الله تبارك وتعالى تدبير الحرب في آيتين من كتابه فقال تعالى : « يَأيُّها الذينَ آمنُوا إذا لَقِيتم فِئةً فاثْبُتوا واذْكُروا اللهَ كَثيراً لَعلَّكم تُفلِحُونَ . وأطيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ ولا تَنازَعوا فتَفْشَلوا وتَذْهبَ رِيحُكم واصْبِروا إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابرِينَ . »

•

وتقول العرب : الشجاعة وقايةٌ ، والجُبن مَقْتلة . واعتبر من ذلك ، أنَّ من يُقتلُ مُدبراً أكثرُ ممن يُقتلُ مُقبلًا .

ولذلك قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه لخالد بن الوليد : احرص على الموت تُوهبْ لك الحياة .

والعرب تقول : الشجاع مُوقًّى ، والجبان مُلقًّى .

•

وقال اعرابي : الله مُخلفٌ ما أتلف الناس ، والدهر متلف ما جمعوا ؛ وكم من مَنيَّةٍ عِلَّتها طلب الحياة ، وحياةٍ سببُها التعرض للموت .

•

وكان خالد بن الوليد يسير في الصفوف يُذمّر الناس[1] ويقول: يا أهل الاسلام ، ان الصبر عزّ ، وان الفشل عجز ، وان مع الصبر النصر .

•

وكتب أنوشِرْوان الى مرازبته : عليكم بأهل الشجاعة والسّخاء ، فإنهم أهلُ حُسن الظن بالله .

•

وقالت الحكماء : استقبالُ الموت خيرٌ من استدبارِه .

•

وقال حسّان بن ثابت :

ولَسْنا على الأعقاب تَدْمَى كلومُنا ،
ولكن على أقدامنا تَقْطُرُ الدِّمَا

وقال العلوي في هذا المعنى :

مُحرَّمةٌ أكفالُ خَيْلي على القَنا ،
ودَاميةٌ لَبّاتُها ونُحورُها

حَرامٌ على أرماحِنا طَعْنُ مُدْبِرٍ ،
وتَغْرَق منها في الصُّدورِ صُدورُها

•

---

١ يذمر الناس : يحضهم على القتال .

وكانوا يتمادحون بالموت قَعْصاً[1] ، ويتهاجَوْن بالموت على الفِراش ، ويقولون فيه : ماتَ فلانٌ حَتْفَ أنْفِه . وأوّلُ من قال ذلك النبيّ عليه الصلاة والسلام .

•

وخطب عبد الله بن الزُّبير الناس ، لمّا بلغه قَتْلُ مصعبٍ أخيه ، فقال : إنْ يُقتل فقد قُتل أبوه وأخوه وعمّه، إنّا والله لا نموت حَتفاً ، ولكن نموت قعْصاً بأطرافِ الرِّماح ، وموْتاً تحتَ ظلال السيوف ؛ وإن يُقتلْ مصعبٌ فإن في آل الزُّبير خَلفاً منه .

•

وقال السموأل :

وما ماتَ منّا سيّدٌ حتْفَ أنْفِه ؛
ولا طُلّ منـــا حيثُ كانَ قَتيلُ

تَسيل على حَدّ الظُّبات نفوسُنا ،
وليس على غير السُّيوف تَسيـل

وقال آخر :

وإنا لتَسْتحلي المَنايا نفوسُنا، ونتركُ أُخرى مُرّةً ما نَذوقُها

---

١ مات قعصاً : اذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .

وقال الشَّنْفَرَى :

فلا تَدْفِنُوني ، إنّ دَفْني مُحرَّم
عليكم ، ولكنْ خامِري أمّ عامِرِ[1]

إذا حُمِلت رأسي، وفي الرأس أكثَري،
وغُودِر عند المُلتقَى ثَمّ سائِرِي

هُنالك لا أبغِي حَياةً تَسُرّني ،
سَجِيسَ الليالي ، مُبْسَلًا بالجرائرِ[2]

وقوله خامري أم عامر ، هي الضَّبع . يعني بقوله : إذا قتلتموني فلا تَدْفِنوني ولكن ألقوني الى التي يقال لها : خامري أم عامر ، وهي الضبع . وهذا اللفظ بعيدٌ من المعنى .

•

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقيل له : أتقتلُ أهلَ الشام بالغداةِ وتظْهرُ بالعشيّ في إزار ورداء؟ فقال : أبالموت تُخوّفوني ! فوالله ما أُبالي أسَقطتُ على الموت أم سَقَط عليّ .

---

١ ام عامر : كنية الضبع . وقوله خامري ام عامر : اي ابشري بطعام من لحمي.
٢ سجيس الليالي : أبداً . مبسلا : مسلماً . يقول انه لا يرجو في ذلك الوقت حياة سارة له طول الليالي وهو مسلم للأعداء بجرائره .

وقال لابنه الحسن عليهما السلام : لا تَدْعُوَنَّ أحداً الى المُبارزة ، وإن دُعيتَ اليها فأجِب ، فإن الداعيَ اليها باغٍ والباغي مَصْروع .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : بقية السيف أنمى عدداً ، وأطيب ولداً . يريد أن السيف إذا أسرع في أهل بيت كثر عددهم ، ونمى ولدهم .

ومما يستدل به على صدق قوله : ما عمل السيفُ في آل الزُبير ، وآل أبي طالب ، وما كثّر من عددهم .

•

وقال أبو دُلَف العِجْلي :

إنّي امرؤٌ عوّدني مُهري رُكوبَ الغَلَسِ[1]
يَحمِدني سَيْفي ، كما يَحْمَدُ كَرّي فَرَسي
سَيْفي بِلَيلي قَبَسي ، وفي نَهاري أنَسي

•

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر صاحب خُراسان :

لستُ لرَيْحانٍ ولا راحِ ، ولا على الجارِ بنبّاحِ

---

١ الغلس : ظلام آخر الليل .

فإن أردتَ الآن لي مَوقفاً، فبَيْنَ أسيافٍ وأرماحِ
ترى فتىً، تحتَ ظِلال القَنا، يَقْبِض أرواحاً بأرواحِ

•

وقال أَشهب بن رُميلة :

أُسودُ شَرىً لاقتْ أُسودَ خَفِيّةٍ ،
تَساقَوْا على حَرْدٍ دِماءَ الأساودِ[1]

•

وقيل للمُهلَّب بن أبي صُفْرة : ما أعجبُ ما رأيتَ في حَرْبِ الأزارقة ؟ قال : فتى كان يخرج الينا منهم في كل غداةٍ فيَقف فيقول :

وسائلةٍ بالغَيْب عنّي ، ولو دَرتْ
مُقارَعتي الأبطالَ طال نَحيبُها

إذا ما التقَيْنا كنتُ أولَ فارسٍ ،
يجُود بنَفْسٍ أثقَلتها ذُنوبُها

---

١ الحرد : الغضب.

ثم يحْمل فلا يقوم له شيءٌ إلا أقعده ، فإذا كان من الغدِ عاد لمثل ذلك .

•

وقال هشام بن عبد الملك لأخيه مسْلمة : هل دخلك ذُعر قطُّ لحرْبٍ أو عدوّ ؟ قال : ما سلِمتُ في ذلك من ذُعر يُنبِّه عليَّ حِبَلي ، ولم يَغشَني ذعر سَلبني رأيي . قال هشام : هذه والله البسالة .

•

وقيل لعَنترة : كم كنتم يوم الفَروق[1] ؟ قال : كنّا مائة، لم نكثر فنتّكل[2] ، ولم نقلّ فنذلّ .

•

وكان يزيد بن المُهلَّب يتمثلُ كثيراً في الحرب بقول حصين ابن الحُمام :

تأخّرتُ أستَبقي الحَياة ، فلم أجِد
لنفسي حياةً مثــلَ أن أتقدَّمَا

•

---

١ يوم الفروق: من أيام حروب عبس وذبيان. والفروق موضع بديار بني سعد .

٢ فنتكل : اي يتكل بعضنا على بعض .

وقالت الخنساء :

تُهينُ النفُوس ، وبذلُ النفو س ، يومَ الكريهة ، أبقى لها

•

وقيل لعبّاد بن الحصَين ، وكان من أشد أهل البصرة : في أي عُدة كنت تريد أن تلقى عدوّك؟ قال : في أجل مستأخر.

•

وكان مما يتمثل به معاوية رضي الله عنه يوم صِفّين[1] :

أبتْ لي شِيمتي ، وأبَى بَلائي ،
وأخْذِي الحَمْدَ بالثّمن الرّبيحِ

وإقدامي عـلى المكروه نَفْسِي
وضَرْبي هامةَ البَطَل المُشِيحِ[2]

وقَولي ، كلّما جَشَأتْ وجاشت :
مكَانَكِ تُحمَدي أو تَستريحي[3]

---

١ يوم صفين بين علي بن أبي طالب ومعاوية . وصفين قرب الرقة على شاطىء الفرات . هذا الشعر لعمرو بن الاطنابة .

٢ المشيح : المعرض تكرهاً .

٣ جشأت : تطلعت ونهضت جزعاً وكراهة . جاشت : همت بالفرار .

لأدفَع عن مآثرَ صالحـــاتٍ ،
وأحْمِي بعدُ عن عِرْضٍ صحيح

ونظير هذا قول قطَري بن الفجاءة :

وقولي كلّما جشأت، لنفسي : من الأبطال وَيْحك لا تُراعي
فإنكِ لو سألتِ حياةَ يوم ، سِوى الأجل الذي لك، لم تُطاعِي

•

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج كلّ يوم بصِفّين حتى يقف بين الصفين ويقول :

أيّ يوميّ من الموت أفِرّ ، يومَ لا يُقْدَر أو يومَ قُدِرْ
يومَ لا يُقْدَرُ لا أرهبُه ، ومن المَقْدورِ لا يُنجِي الحَذَر

ومثله قول جرير :

قلْ للجَبانِ ، إذا تأخّرَ سَرْجُه :
هل أنتَ من شَرَكِ المَنيّة ناجِي ؟

وهذا البيت في شعره الذي أوله :

هاج الهوى لفؤادك المُهتاج

ومدح فيـــه الحجاج ، فلما أنشده : قـل للجبان (البيت) قال له : جرّأت علي الناس يابن اللخناء[1] ؛ قال : والله مـا القيت لها بالاً أيها الأمير إلا وقتي هذا .

•

وكان عاصمُ بن الحَدثان عالماً ذكيّاً ، وكان رأسَ الخوارج بالبصرة ، وربما جاءه الرسول منهم من الجزيرة يسأله عن الأمر يختصمون فيه ؛ فمرّ به الفرزدق ، فقال لابنه : أنشِد أبا فراس ؛ فأنشده :

وهمُ ، إذا كسروا الجُفونَ ، أكارمٌ
صُبُرٌ ، وحين تُحلّل الأزرار[2]

يغشَوْن حَوْماتِ المَنُون ، وإنها ،
في الله عنـد نُفوسهم ، لصِغَـارُ

يَمشون بالخَطّـيّ لا يَثْنِيهِـم ،
والقوم إذ ركبوا الرّماحَ تِجَـارُ

فقال له الفرزدق : ويحك ! اكتم هذا لا يسمعه النساجون

---

١ اللخناء : القذرة . وعجز بيت جرير : فانظر بتوضح باكر الاحداج.

٢ الجفون : الاغماد . كسر الجفون وحل الأزرار : كناية عن الاستعداد والنهوض للحرب .

فيخرجوا علينا بحفوفهم[1] . فقال أبوه[2] : يا فرزدق ، هو شاعرُ المؤمنين ، وأنت شاعر الكافرين .

ونظير هذا مما يشجع الجبان قول عَنترة :

بكَرتْ تُخوّفني الحُتوفَ ، كأنّني
أصبحتُ ، عن غَرَض الحُتوف ، بمَعْزِلِ

فأجبتُها : إنّ المنيّـــة مَنْهلٌ ،
لا بدّ أن أُسْقَى بكأسِ المَنْهلِ

فاقْنَيْ حياءَكِ لا أبا لكِ ، واعلَمي
أنّي امرؤٌ سأموتُ ، إن لم أُقتَلِ

•

ومن أحسن ما قالوه في الصبر قـول نَهْشل بن حرّي بن ضَمرة النهشلي :

ويومٍ كأنّ المُصطَلين بحَرّه ،
وإن لم تكن نارٌ ، وقوفٌ على جَمْرِ

---

١ الحفوف ، واحدها حف : المنـج .

٢ أبوه : اي عاصم بن الحدثان .

صَبرنا له حتى يَبُوخَ ، وإنما
تُفرَّج أيامُ الكريهة بالصبرِ[1]

وأحسن من هذا قول حبيب :

فأثبتَ في مُستنقَع الموت رجلَه ،
وقال لها : من تحتِ أخمَصِك الحَشرُ

تَردّى ثيابَ المَوْتِ حُمراً ، فما أتَى
لها الليلُ ، إلا وَهْي من سُنْدُسٍ خُضْرُ

وأحسن من هذا قوله :

يَستعذبون مَناياهم ، كأنهمُ
لا يَخرُجون من الدُّنيا إذا قُتِلُوا

وقوله في المعنى :

قومٌ إذا لَبِسوا الحديدَ حَسِبْتَهم ،
لم يَحْسِبوا أن المنيّة تُخْلَقُ

انظُر فحيثُ تَرى السُّيوفَ لوامعاً
أبداً ، ففَوقَ رُؤوسِهم تَتألّقُ

•

---

١ يبوخ : يسكن.

وقال الجحّاف بن حكيم :

شَهِدْن ، معَ النبيّ ، مُسوَّماتٍ
حُنَيناً ، وهي دامية الحوامي[1]

ووَقعة راهط شَهِدت ، وحَلَّت
سَنابكُهنّ بالبَلدِ الحرامِ

نُعرِّضُ للطِّعان ، إذا التقينا ،
خُدوداً لا تُعرِّضُ للطِّامِ

أخذه من قولهم : ضَرْبةٌ بسيفٍ في عِزٍّ ، خيرٌ من لطمةٍ في ذُلٍّ .

•

ومن أحسن ما وصفت به رجالُ الحرب قول الشاعر[2] :

رويداً ، بني شيبان ، بعضَ وَعيدكم ،
تُلاقُوا غداً خَيْلي على سَفَوانِ[3]

---

١ الحوامي : مياسر الحافر ومياسره .

٢ الشاعر هو وداك بن نميل المازني .

٣ سفوان : ماء على أميال من البصرة . وكانت بنو شيبان توعد تميماً وتزعم أن سفوان لهم ، وتريد اجلاء بني مازن عنه ومن كان معهم من بني تميم .

تُلاقُوا جِياداً لا تَحِيد عن الوغَى ،
إذا مـا غدت في المأزق المُتداني

إذا استُنجدوا لم يَسألوا مَن دعاهمُ
لأيةِ حـربٍ ، أم بأيّ مكـان

ونظير هذا قول الآخر :

قومٌ إذا نزل الغَريبُ بدارهِم ،
تَركوه رَبَّ صَواهِلٍ وقِيانِ

وإذا دعوتَهـمُ لِيـوم كَريهـةٍ ،
سَدُّوا شُعاعَ الشمسِ بالفُرسانِ

لا ينكتُون الأرضَ عند سُؤالهِم ،
لتطلُّبِ العِلاّت ، بالعِيـدانِ

بل يُسفرون وجوهَهم ، فترى لهـا ،
عنـد السؤال ، كأحسنِ الألوانِ

•

ومن أحسن المحدَثين تشبيهاً في الحرب ، مُسلم بن الوليد الأنصاري في قوله ليزيد بن مَزْيد :

تلقى المنيّةَ في أمثالِ عُدّتِهـا ،
كالسَّيلِ يَقْذِف جُلْموداً بجُلمودِ

تَجودُ بالنَّفس ، إن ضَنّ الجوادُ بها،
والجُود بالنفسِ أقصى غايةِ الجُودِ

وقوله أيضاً :

مُوفٍ على مُهَجٍ في يومِ ذي رهَجٍ ،
كأنـه أجَـلٌ يسعـى إلى أملِ

ينال بالرِّفقِ ما تَعيَا الرجالُ بـه ،
كالموت مُستعْجِلًا يأتِي على مهَلِ

•

وقال أبو العتاهية :

كأنَّك عند الكرّ في الحرب ، إنما
تَفِرُّ عن السِّلمِ الذي من وَرائِكا

كأنّ المنايا ليسَ تَجْري لدى الوغى،
إذا التقتِ الأبطالُ ، إلا برايكا

فما آفةُ الآجالِ غيرُك في الوغَى ؛
وما آفةُ الأموالِ غيرُ حِبائكـا[1]

•

---

١ الحباء : العطاء . والشعر في يزيد بن مزيد الشيباني .

وقال زيد الخيل :

وقد عَلِمَتْ سلامةُ أنّ سَيْفي
كريهٌ ، كلما دُعِيَت نَزَالِ[1]

أُحادِثُه بصَقْلٍ كلَّ يومٍ ،
وأعجمُه بهاماتِ الرجالِ[2]

•

وقال أبو مُحلِّم السعدي :

تقول ، وصكّت وجهَها بيَمينها :
أبَعْلِيَ هذا بالرَّحى المُتقاعِسُ ![3]

فقلتُ لها : لا تَعْجَلي ، وتَبيّني
بلائي ، إذا التفّتْ عليّ الفوارسُ

أَلستُ أردُّ القِرْنَ يركبُ رَدْعه ،
وفيه سِنَانٌ ذو غِرَارَين نائِس ؟[4]

---

١ نزال: اسم فعل بمعنى انزل. وقوله دعيت نزال : اي دعي الى المنازلة، الحرب.

٢ أحادثه : أجلوه . أعجمه : أبلوه واخبره .

٣ المتقاعس : الذي دخل ظهره وخرج صدره . يقول: ان امرأتي حين رأتني أطحن بالرحى للأضياف واتأخر عن خوض الحرب ضربت وجهها بيمينها تأسفاً وأنكرت مني هذا الفعل .

٤ يركب ردعه : يخر صريعاً لوجهه. الغرار : حد السيف. النائس : المضطرب.

إذا هابَ أقوامٌ ، تَقحّمتُ غَمرةً
يَهاب حُمَيّاها الألدُّ المُداعِس[1]

لَعَمر أبيكِ الخَيْرِ ، إنّي لَخادِم
لِضَيْفي، وإنّي إن رَكِبْتُ لَفارِس

•

وقال آخر يمدح المهلب بالصبر :

وإذا جُدِدْتَ فكلُّ شيء نافعٌ ؛
وإذا حُدِدْتَ فكل شيء ضائرُ[2]

وإذا أتاكَ مُهلَّبيٌّ في الوغَى ،
في كفّه سَيفٌ ، فنِعْمَ النّاصرُ

•

ومن قولنا في القائد أبي العباس في الحرب :

نَفْسي فِداؤك ، والأبطالُ واقفةٌ ،
والموتُ يَقْسِم في أرْواحِها النِّقَما

شارَكتَ صَرْفَ المَنايا في نُفوسهمُ ،
حتى تَحكّمْتَ فيها مثلما احْتَكَما

---

١ حمياها : شدتها . الألد : اللجوج الشديد الخصومة . المداعس : المطاعن .

٢ جددت : جاءك الجد ، الحظ . حددت : ادبت بما يمنعك عن ارتكاب الذنب .

لو تَسْتَطيعُ العُلا جاءتك خاضعةً،
حتى تُقبِّلَ منك الكَفَّ والقَدَما

•

ومن قولنا في وصف الحرب :

سُيوفٌ يَقبلُ المَوتُ تحتَ ظُبانها،
لها في الكُلى طَعْمٌ، وبينَ الكُلى شُربُ

إذا اصطفقتِ الرايات حُمْراً مُتونُها،
ذوائبُها تَهْفو، فيَهْفو لها القَلْبُ

ولم تَنْطِقِ الأبطالُ إلا بفِعْلِها،
فألْسُنُها عُجْمٌ وأفعالُها عُرْبُ

إذا ما التقَوْا في مأزِقٍ وتَعانقُوا،
فلِقياهمُ طَعْنٌ وتَقْبيلهُم ضَرْبُ

•

ومن قولنا في رجال الحرب ، وأن الوغى قد أخذت من أجسامهم فهي مثل السيوف في رقتها وصلابتها :

سَيْفٌ تقلَّدَ مثلَه ، عَطْفَ القَضِيب على القَضِيبْ
هذا تُجَزِّ به الرِّقابُ ، وذا تُجزُّ به الخُطوبْ

•

ومن قولنا أيضاً :

تَراه في الوغَى سيفاً صَقيلًا، يُقلّب صَفْحَتَيْ سَيفٍ صَقيلِ

•

ومن قولنا أيضاً :

سَيفٌ عليه نِجَادُ سيفٍ مثلِه، في حَدّه للمُفْسدين صَلاحُ

•

ومن قولنا أيضاً في الحرب وذكر القائد :

مَقيلُك تحتَ أظلالِ العَوالي،
وبَيْتُك فوقَ صَهْواتِ الجِيادِ

تَبَخْتَرُ في قَميصٍ من دِلاصٍ،
وتَرفُل في رِداءٍ من نِجَادِ[1]

كأنّكَ للحُروبِ رَضيعُ ثَدْيٍ،
غَذَتْك بكلّ داهيةٍ نآدِ[2]

فكم هذا التمنّي للمَنايا؛
وكم هذا التجلُّد للجِلادِ!

---

١ الدلاص : الدرع .

٢ النآد : الداهية .

لئِن عُرفَ الجِهادُ بكلِّ عامٍ،
فإنـك طولَ دهرِكَ في جِهـادِ

وإنَّك حينَ أُبْتَ بكلِّ سَعْدٍ،
كمِثْلِ الرُّوحِ آبَ إلى الفؤادِ

رأينا السيفَ مُرتديـاً بسَيْفٍ،
وعاينّـــا الجَوادَ على الجَوادِ

•

وقد وصفنا الحرب بتشبيه عجيب لم يُتقدم اليه، ومعنى بديع لا نظير له، وذلك قولنا :

وجَيْشٍ كظَهْرِ اليَمِّ تنفَحُه الصَّبا،
يَعُبُّ عُباباً من قَنَاً وقَنابلِ[1]

فتَنزِلُ أُولاه، وليسَ بنازلٍ،
وتَرْحَلُ أُخراه، وليسَ براحلِ

ومُعْتَرَكٍ ضَنْكٍ، تعاطَتْ كُماتُه
كُؤوسَ دِماءٍ، من كُلىً ومَفاصلِ

---

١ القنابل، واحدتها قنبل : الطائفة من الناس أو الخيل .

يديرونها راحاً من الرُّوح بينهم ،
بِبيضٍ رِقاقٍ أو بسُمْرٍ ذَوَابلِ
وتُسْمِعهم أمُّ المنيّةِ وسْطَها ،
غِناءَ صَليلِ البِيضِ تحتَ المَناصِلِ

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

سَيْفٌ من الحَتْفِ تَرَدَّى به ، يومَ الوَغَى، سيفٌ من الحَزْمِ
مُواصِلًا أعداءَه عن قِلًى ، لا صِلَةِ القُرْبى، ولا الرَّحْمِ
وصْلٌ يحِنُّ الالْفُ من بُغضِه ، شَوقاً إلى الهِجرانِ والصَّرْمِ
حتى إذا نادمَهم سيفُه ، بكلِّ كأسٍ مُرَّةِ الطَّعمِ
ترى حُمَيّاها بهاماتِهم ، تَغُور بين الجِلْد والعَظْمِ
على أهازِيجِ ظُبًى ، بَينها ماشِئْتَ من حذفٍ ومن خَرْمِ[1]
طاعُوا له من بعدِ عِصْيانهم ؛ وطاعةُ الأعداء عن رَغْمِ
وكم أعدُّوا واستعدُّوا له ؛ هَيهاتَ ليس الخَضْمُ كالقَضْمِ[2]

•

---

١ الحذف في العروض : اسقاط السبب الخفيف من آخر الجزء كاسقاط لن من مفاعيلن فينقل الى فعولن. الخرم: ذهاب الفاء من فعولن أو الميم من مفاعلتن. والكلام على الاستعارة .

٢ الخضم : الأكل بأقصى الاضراس . القضم : الاكل بأطراف الاسنان .

ومن قولنا :

كم ألجمَ السيفَ في أبناء ملحمةٍ ،
ما منهمُ فوقَ متنِ الأرضِ ديّارُ

وأوردَ النارَ من أرواحِ مارقةٍ ،
كادت تَميَّزُ من غَيْظٍ لها النارُ[1]

كأنما صالَ ، في ثنْيَيْ مُفاضَته ،
مُستأسِدٌ حَنِقُ الأحشاءِ هدّارُ[2]

لمّا رأى الفتْنةَ العَمْياءَ قد رحُبت
منها ، على الناس ، آفاقٌ وأقطارُ[3]

وأطْبقَت ظُلَمٌ ، من فوقِها ظُلَمٌ ،
ما يُستضاءُ بها نُورٌ ولا نارُ

قادَ الجيادَ إلى الأعداءِ ساريةً ،
قُبّاً ، طَواها ، كطَيّ العَصْبِ ، إضْمارُ[4]

---

١ المارقة : الخارجون عن الجماعة .

٢ المفاضة : الدرع الواسعة .

٣ رحبت الفتنة : اتسعت وعمت .

٤ القب : الضوامر البطون ، الواحد أقب . العصب في العروض : اسكان الخامس المتحرك كاسكان لام مفاعلتن فينقل الى مفاعيلن . الاضمار : اسكان الثاني المتحرك كاسكان تاء متفاعلن فينقل الى مستفعلن . والكلام على الاستعارة .

مَلْمومةٌ تَتَبارى في مُلَمْلَمَةٍ ،
كأنَّها لاعْتدالِ الخَلْق أفهارُ[1]

تَزْورُّ، عند احتماسِ الطَّعن، أعينُها،
وهُنَّ، من فُرُجات النقْعِ ، نُظَّارُ

تَفُوت بالثأرِ أقواماً ، وتُدركه
من آخرين ، إذا لم يُدْرَكِ الثارُ[2]

فانسابَ ناصرُ دينِ الله يقدُمُهم ،
وحولَه من جُنودِ الله أنصارُ

كتائبٌ تتبارى حولَ رايتِه ،
وجَحْفلٌ ، كسَوادِ الليلِ ، جرَّارُ

قومٌ لهم في مَكرِّ الليلِ غَمْغَمةٌ ،
تحت العَجاجِ ، وإقبالٌ وإدبارُ

يَستقدمون كَرَاديساً مُكَرْدَسَةً ،
كما تَدَفَّعَ بالتيّارِ تيّارُ[3]

---

١ الململمة: المجتمعة، يريد الكتيبة. الافهار: حجارة يدق بها الطيب، الواحد فهر.

٢ يقول : ان هذه الخيول لسرعتها تفوت من يريد ادراكها بثأر ، في حين انها تدرك من تطلبه بثأرها .

٣ كراديس : جماعات عظيمة من الخيل ، الواحدة كردوسة .

مِن كلِّ أروعَ لا يَرْعَى لهاجسةٍ ،
كأنه مُخْدِرٌ في الغِيلِ هَصَّارُ[1]

في قَسْطلٍ من عَجاجِ الحَرْبِ، مُدَّ له
بين السماءِ وبين الأرضِ أستارُ[2]

فكَم بساحتِهِم من شِلْوِ مُطَّرَحٍ ،
كأنه فوقَ ظهرِ الأرضِ إجّارُ[3]

كأنما رأسُه أفلاقُ حَنْظلةٍ ،
وساعِداه إلى الزَّنْدين جُمَّارُ[4]

وكَم على النَّهرِ أوصالاً مُقسَّمةً ،
تَقَسَّمتْها المنايا فهْيَ أَشْطارُ

قد فُلِّقت بصَفيحِ الهِنْدِ هامُهُمُ ،
فهُنَّ بين حَوامِي الخَيْلِ أعشارُ[5]

•

---

١ المخدر : الأسد . الهصار ، من الهصر : الذي يكسر ويدق فريسته .

٢ القسطل : الغبار الساطع في الحرب .

٣ الاجار : السطح .

٤ الجمار: شحم النخلة، وهو مادة بيضاء لينة لذيذة الطعم كالحليب المتجمد تكون في رأس النخلة .

٥ الحوامي : ميامن الحافر وميامره . شبه هامات القتلى بجزور الميسر ، مقسمة بين حوافر الخيل .

ومن قولنا في الحروب :

وحَوْمةٍ غادرتَ فُرسانَها ... في مَبرَكٍ، للحرب، جَعْجاعِ[1]

مُستَلْحَمٍ بالموت، مُستَشعِرٍ ... مُفرَّقٍ للشَّمْلِ جَمَّاعِ

وبلدةٍ صَحْصَحْتَ منها الرُّبا، ... بفَيْلَقٍ، كالسَّيلِ، دفّاعِ[2]

كأنما باضَت نَعامُ الفَلا ... منهم بهامٍ فوق أدْراعِ

تراهمُ عندَ احتِماس الوغَى، ... كأنّهم جِنٌّ بأجْرَاعِ[3]

بكلِّ مَأثورٍ، على مَتْنِهِ ... مثلُ مَدَبِّ النَّمل في القاعِ[4]

يرتدّ طرفُ العَيْنِ، من حدّه، ... عن كوكبٍ للموتِ لمّاعِ

•

ومن قولنا في الحرب :

ورُبَّ ملتفَّةِ العَوالي، ... يلتمِعُ الموتُ في ذُراها

إذا تَوطَّتْ حُزونَ أرضٍ، ... طَحطَحتِ الشُّمَّ من رُباها[5]

يَقودُها منه ليثُ غابٍ، ... إذا رأى فُرصةً قَضَاها

---

١ الجعجاع : الموضع الضيق الخشن .

٢ صحصحت منها الربا : جعلت مرتفعاتها صحصحاً ، وهو ما استوى من الارض.

٣ الأجراع : الأراضي ذات الحزونة .

٤ المأثور : السيف الذي في متنه أثر ، وهو مرنده . القاع : الأرض السهلة .

٥ توطت : مسهل توطأت : داست. طحطحت الشم من رباها : كسرتها ودقتها .

تَمضي بآرائه سُيوفٌ ، يَسْتَبِقُ الموتُ في ظُبـاها
بيضٌ تَحُلُّ القلوبَ سُوداً ، إذا انتضى عَزمَه انتضاهـا
تتبعُه الطيرُ في الأعـادي ، تَجني كَلاَ العُشب من كلاها
أقـدَم ، إذ كاعَ كلُّ ليثٍ عن حَومة الموت ، إذ رآها[1]
فأقحَمَ الخيلَ في غِمَـارٍ ، تَفْغَرُ بالمـوتِ لهَوَتاها[2]
عَنَت له أوجُـهُ المنـايا ، فعافَها القومُ واشتَهاها

---

١ كاع : جبن .

٢ استعمل اللهوة ، وهي ما يوضع من الحب في فم الرحى ، للهاة ؛ وهي اللحمة المشرفة على الحلق في اقصى سقف الفم. وقد يكون استعار اللهوة لافواه الخيل بجامع الانفغار ، اي الانفتاح .

فرسان العرب

في الجاهلية والاسلام

كان فارس العرب في الجاهليّة رَبيعةُ بنُ مُكَدَّم من بني فِراس بن غَنْم بن مالك بن كِنانة ، وكان يُعْقَر على قبره في الجاهلية ، ولم يُعقر على قبر أحد غيرِه .

وقال حسّان بن ثابت وقد مَرّ على قبره :

نَفَرتْ فَلوصي من حِجارة حَرَّةٍ ،
بُنِيَت على طَلَقِ اليدينِ وَهُوبِ

لا تَنفِري يا ناقُ منه ، فإنّه
شِرّيبُ خَمرٍ ، مِسعرٌ لِحُروبِ

لولا السِّفارُ ، وطُولُ قَفرٍ مَهمَهٍ ،
لتركتُها تَحْبو على العُرقوبِ[1]

•

وكان بنو فِراس بن غَنْم بن كِنانة أنجدَ العرب ؛ كان

---

١ يريد انه لولا طول سفره لعقر ناقته على قبره لانه شريب خمر اي كريم . مسعر لحروب : اي فارس بطل .

الرجلُ منهم يُعدَلُ بعشرةٍ من غيرِهم . وفيهم يقولُ عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه ، لأهل الكوفة: من فاز بكم فقد فاز بالسهم الأخيب ، أبْدلكم الله بي من هو شرّ لكم ، وأبدلني بكم من هو خيرٌ منكم ، ودِدت والله أنّ لي بجميعكم ، وأنتم مائة ألف ، ثلثمائة من بني فِراس بن غَنْم .

•

ومن فرسان العرب في الجاهلية : عَنترةُ الفوارس، وعُتيبةُ ابنُ الحارثِ بن شهابٍ ، وأبو براءٍ عامرُ بن مالكٍ ، مُلاعبُ الأسنّة ، وزيدُ الخيلِ ، وبِسطامُ بنُ قيسٍ ، والأحَيمِرُ السَّعدي ، وعامرُ بن الطُّفيل ، وعمرو بنُ عبدِوُدٍّ ، وعمرو ابن مَعديكرب .

وفي الإسلام : عبدُ الله بن خازم السُّلَمي ، وعبّادُ بن الحُصَين ، وعُمَير بن الحُبَاب ، وقَطريّ بن الفُجاءة ، والحَريشُ بن هِلال السَّعديّ ، وشَبيبٌ الحَروريّ .

•

وقالوا : ما استحيا شجاعٌ قطّ أن يَفِرّ من عبدِ الله بن خازمٍ ، وقَطريّ بن الفُجاءة صاحبِ الأزارقة .

•

وقالوا : ذهب حاتمٌ بالسخاء ، والأحنف[1] بالحِلْم ، وخُرَيم بالنعمةِ ، وعُمير بن الحُباب بالشدة .

•

وبينا عبد الله بن خازم عند عُبيد الله بن زياد إذ دخل عليه بجُرذٍ أبيضَ ، فعجِب منه عُبيد الله وقال : هل رأيتَ يا أبا صالح أعجبَ من هذا ! ونظر إليه ، فإذا عبدُ الله قد تضاءلَ حتى صار كأنه فَرْخٌ واصفرَّ كأنه جرادة ذَكَر . فقال عُبيد الله : أبو صالح يَعصي الرحمن ، ويتهاونُ بالسلطان ، ويقبِضُ على الثعبانِ ، ويمشي إلى الليثِ ، ويلقى الرماحَ بنَحره ، وقد اعتراه من جُرذٍ ما تَرونَ ! أشهدُ أن الله على كل شيء قدير .

•

وكان شبيبٌ الحَروريّ يَصيح في جَنَبات الجيش ، فلا يُلوي أحد على أحدٍ . وفيه يقول الشاعر :

إن صاح يوماً حسبتَ الصخرَ منحدراً ،
والريحَ عاصفةً ، والموجَ يلتطمُ

ولما قُتِلَ أمرَ الحجاجُ بشقِّ صدره ، فإذا له فؤادٌ مثلُ

---

١ الاحنف بن قيس .

فؤادِ الجَمَل ، فكانوا إذا ضربوا به الأرض ينزو كما تنزو المَثانة[1] المَنفوخة .

•

ورجالُ الأنصار أشجعُ الناس . قال عبدُ الله بن عبّاس : ما استُلَّت السيوفُ ، ولا زحفت الزُّحوفُ ، ولا أُقيمت الصفوفُ ، حتى أسلمَ ابنا قَيلةَ ، يعني الأوسَ والخزْرجَ . وهما الأنصارُ من بني عمرو بن عامر ، من الأزد .

•

العُتبيّ قال : لما أسنّ أبو بَراءٍ عامرُ بنُ مالك ، وضَعُفه بنو أخيه وخرَّفوه ، ولم يكن له ولدٌ يحميه ، أنشأ يقول :

دفعْتُكمُ عنّي ، وما دَفْعُ راحة ... بشيءٍ ، إذا لم تَستعنْ بالأنامِلِ
يُضعِّفُني حِلمي وكثرةُ جَهلكم ... عليّ ، وأني لا أصولُ بجاهلِ

•

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، إذ رأى هَمْدان وغَناءها في الحرب يوم صِفّين :

ناديتُ هَمْدانَ ، والأبوابُ مُغلقةٌ ،
ومِثلُ هَمْدان سنّى فَتْحةَ الباب[2]

---

١ المثانة : مستقر البول وموضعه من الانسان والحيوان .
٢ سنى : سهل .

كالهُندوانيّ لم تُفلَلْ مَضاربُه ،
وجهٌ جميلٌ وقَلْبٌ غيرُ وجّابِ

•

وقال ابن برّاقة الهمداني :

كَذَبتم ، وبيتِ اللهِ ، لا تأخُذونها
مُراغمةً ، ما دام للسّيفِ قائمُ

متى تجمعِ القلبَ الذكيَّ وصارِماً ،
وأنفاً حَمِيًّا ، تجتنبْك المظالمُ

وكنتُ ، إذا قومٌ غَزَوني غزوتُهم ،
فهل أنا في ذا ، يا لهَمْدانَ ، ظالمُ؟

•

وقال تأبّط شَرّاً :

قَليلُ التَّشكّي للمُهِمّ يُصيبُه ،
كثيرُ الهَوى، شَتّى النَّوى والمسالكِ

يَبيت بمَوْماة ، ويُضْحي بغيرِها
جَحِيشاً ، ويَعْروري ظهورَ المهالكِ[1]

---

١ الموماة : المفازة لا ماء فيها . جحيشاً : منفرداً . يعروري : يركب .

إذا حاص عينَيْه كرى النومِ ، لم يزَل
له كالئٌ من قلبِ شيحانَ فاتكِ[1]

ويجعلُ عينَيْه ربيئةَ قلبِه ،
إلى سلّةٍ من حدّ أخلقَ باتكِ[2]

إذا هزّه في عظم قِرْنٍ ، تهلّلت
نواجذُ أفواهِ المنايا الضواحكِ

•

وقال المخزومي[3] وكان شجاعاً :

وما يريد بنو الأغبار من رجلٍ ،
بالجمر مُكتحلٍ بالنبلِ مُشتمِلِ[4]

لا يشرب الماءَ إلا من قليب دمٍ ،
ولا يَبيت له جارٌ على وجَلِ[5]

---

١ حاص : خاط . الشيحان : الحازم .

٢ الربيئة : الرقيب . السلة : المرة من سل السيف ، اذا جرده . الاخلق : الأملس . الباتك : القاطع .

٣ هو ابو سعيد المخزومي .

٤ الأغبار ، جمع غبر : من تحمل المرأة به في آخر ليلة من ليالي الحيض ، وهو من صفات الذم عند العرب .

٥ القليب : الدلو .

ونظير هذا قول بشّار العُقَيلي :

فتى لا يَبيت على دِمْنةٍ ، ولا يشرب الماءَ إلا بِدَم[1]

•

وقال عبد الله بن الزبير : التقيتُ بالأشتر النَّخَعي يوم الجَمل فما ضربتُه ضربةً حتى ضربني خمساً أو ستاً ، ثم أخذ برجلي فألقاني في الخندق وقال : والله لولا قرابتُك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع منك عُضو إلى آخر .

•

وقال أبو بكر بن أبي شَيْبة : أعطتْ عائشة رضي الله عنها الذي بَشّرها بحياة ابن الزُّبير إذ التقى مع الأشتر عشرة آلاف درهم.

•

وذكر مُتَمِّم بن نويرة أخاه مالكاً وجَلَده ، فقال : كان يخرُجُ في الليلة الصَّنْبر[2]، عليه الشَّملة الفَلوت[3]، بين المِزادتين على الجمل الثَّفال[4] ، مُعْتقِلَ الرُّمحِ الخَطّي[5] . قالوا : وأبيك إن هذا لهو الجَلَد.

•

---

١ الدمنة : الحقد . يريد انه يعجل بأخذ ثأره شفاء لحقده .

٢ الصنبر : الشديدة البرد.

٣ الفلوت : التي تنفلت عن لابسها لصغرها او لضيقها .

٤ الثفال : البطيء .

٥ الخطي : منسوب الى الخط ، وهي بلدة بالبحرين ينسب اليها أجود الرماح .

وكتب عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مُقَرِّن وهو على الصَّائفة : أن استعن في حربك بعمرو بنِ مَعديكربَ ، وطُليحةَ الأزديِّ ، ولا تولّهما من الأمر شيئاً ، فإنّ كلَّ صانعٍ أعلمُ بصناعته .

•

وقال عمرو بن مَعديكرب يصفُ صبره وجلده في الحرب :

أعاذِلَ ! عُدّتي بَزّي ورُمحي ،
وكُلُّ مُقلّصٍ سَلِسِ القِيادِ[1]

أعاذِلَ ! إنما أفنى شبابي
إجابتيَ الصَّريخ إلى المُنادي[2]

مع الأبطالِ حتى سَلَّ جِسمي ،
وأقرحَ عاتقي حَمْلُ النِّجادِ[3]

ويَبقى بعد حِلْم القومِ حلمي ،
ويَفنى قبلَ زادِ القوم زادي

ومن عَجَبٍ ، عَجِبتُ له ، حَديثٌ
بَديعٌ ، ليس من بِدْع السَّدادِ

---

١ البز : السلاح المقلص : الفرس الطويل القوائم المشرف المشمر .

٢ الصريخ : المستغاث به .

٣ اقرح : جرح . النجاد : حمائل السيف .

تَمنّى أن يُلاقيَني أبيّ ،
وددت ، وأينما منّي ودادي[1]

تمنّاني ، وسابِغتي قَميصي ،
كأنّ قَتيرها حَدَق الجَراد[2]

وسَيفٌ من لَدُن كنعانَ عِندي ،
تُخيِّر نَصلُه من عهد عادِ

فلو لاقيتَني لقيتَ لَيثاً
هَصُوراً ، ذا ظُبىً وشَبا حِداد[3]

ولاستيقنتَ أنّ الموتَ حقّ ،
وصَرَّح شَحمُ قَلبِك عن سَوادِ[4]

أُريدُ حياتَه ويُريد قَتلي ،
عَذيرَك مِن خَليلِك مِن مُرادِ

•

ومن قوله في قَيس بن مَكشوح المُرادي :

تمنّاني على فَرَسٍ ، عليه جالساً أسدُه

---

١ هو أبي المرادي وكان قد توعد عمرو بن معديكرب .
٢ السابغة : الدرع الطويلة . قتيرها : مساميرها التي تكون بين حلقاتها .
٣ الشبا ، واحدتها شباة : وهي من السيف قدر ما يقطع به .
٤ كنى بتصريح شحم القلب عن سواد ، عن الخوف والرهبة .

عليّ مُفاضةٌ كالنَّهي، أخلَصَ ماءَه جَدَدُه[1]

فلو لافيتَني للقيتَ ليثاً ، فوقَه لِبَدُه

سَبَنْتى، ضَيْغماً هَصِراً صِلَخْداً ناشزاً كَتَدُه[2]

يُسامي القِرنَ، إن قِرْنٌ تَيَمَّمَه ، فيَعتَضِدُه[3]

فيأخذُه ، فيُردِيه ، فيَخفِضُه، فيَقتصِدُه[4]

فيَدْمغه ، فيَحطِمه ، فيَخضِمه ، فيزدرده[5]

---

١ المفاضة : الدرع الواسعة . النهي : الغدير من الماء . الجدد : الأرض الصلبة . شبه الدرع بالغدير في صفائها واطرادها .

٢ السبنتى : الجريء المقدم . الصلخد : الصلب القوي ، أو الشهم الماضي . الناشز : المرتفع . الكتد : ما بين الكتفين .

٣ يعتضده : يحضنه .

٤ يقتصده : يقتله .

٥ يدمغه : يصيب دماغه . يحطمه : يكسره . يخضمه : يأكله . يزدرده: يبتلعه .

المكيدة في الحرب

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : الحربُ خدعة .

•

وقال المُهلَّب لبَنيه : عليكم بالمَكيدة في الحرب ، فإنها أبلغُ من النَّجدة .

•

وكان المُهلَّب يقول : أناةٌ في عواقبها فَوْتٌ ، خيرٌ من عجلةٍ في عواقبها دَرك .

•

وقال مَسلمة بنُ عبدِ الملكِ : ما أخذتُ أمراً قطُّ بحزمٍ فلُمتُ نفسي فيه ، وإن كانت العاقبة عليّ ، ولا أخذتُ أمراً قطُّ وضيّعتُ الحزمَ فيه إلا لُمتُ نفسي عليه، وإن كانت العاقبة لي .

•

وسُئل بعض أهل التَّمرُّس بالحرب: أيّ المكائدِ فيها أحزم؟ قال : إذكاءُ العُيونِ ، وإفشاءُ الغَلَبَةِ ، واستطلاعُ الأخبار،

وإظهارُ السرورِ ، وإماتةُ الفَرَق[1]، والاحتراس من البِطانة ، من غير إقصاءٍ لمن يُستنصَحُ ، ولا استِنصاحٍ لمن يُستَغشُّ ، واشتغالِ الناس عما هم فيه من الحربِ بغيرِه .

•

وفي كتابٍ للهند : الحازمُ يحذر عدوَّه على كل حالٍ ، يحذر المواثبةَ إن قَرُب ، والغارةَ إن بعُدَ ، والكمينَ إن انكشف[2] ، والاستطراد[3] إن ولّى .

•

وكتب الحجّاجُ إلى المُهلَّب يَستعجِله في حرب الأزارقة؛ فكتب إليه : إن من البليّة أن يكون الرأي بيد من يملِكه دون من يبصره .

•

وكان بعض أهل التَّمرُّس يقول لأصحابه : شاوِروا في حربِكم الشُّجعانَ من أُولي العَزم ، والجُبناءَ من أُولي الحزم ، فإنَّ الجبانَ لا يألو برأيه ما يقي مُهجَتَكم ، والشجاعَ لا يَعدو ما يشدُّ نُصرَتكم ؛ ثم خلّصوا من بين الرأيين نتيجةً تحملُ

---

١ الفرق : الخوف .

٢ انكشف : اي انكشف العدو اي انهزم .

٣ الاستطراد : اتباع العدو في انهزامه .

عنكم مَعرّة الجَبانِ ، وتهوُّرَ الشجعان ، فتكون أنفذَ من السهمِ الزالج[1] ، والحُسام الوالج[2] .

•

وكان الإسكندرُ لا يدخُلُ مدينةً إلا هدمها وقتلَ أهلها ، حتى مرّ بمدينة كان مؤدِّبُه فيها. فخرج إليه، فألطفه الاسكندر وأعظمه ؛ فقال له : أصلح الله الملك ، إنّ أحقّ من زيَّن لك أمرك، وأعانك على كل ما هَويت لأنا ، وإنّ أهل هذه المدينة قد طمعوا فيك لمكاني منك ، فأحِبُّ أن تُشفّعني فيهم ، وأن لا تخالفني في كل ما سألتُك لهم . فأعطاه من العهودِ والمواثيق على ذلك ما لا يقدِرُ على الرجوع عنه . فلما توثّق منه قال : فإنّ حاجتي إليك أن تهدِمها وتقتل أهلَها ؛ قال : ليس إلى ذلك سَبيلٌ ، ولا بدّ من مخالفتِك .

•

وقيلَ : صالحَ سَعيدُ بن العاص حِصْناً من حُصونِ فارس على أن لا يقتُل منهم رجلًا واحداً ، فقَتلهم كلَّهم إلا رجلًا واحداً .

•

---

١ السهم الزالج : الذي يزلج على الأرض ، اي يسرع ويخف عليها ، ثم يمضي .
٢ الوالج : من ولج الشيء ، دخل فيه .

ابنُ الكَلبي قال : لما فتح عمرو بن العاص قَيساريَّة سار حتى نَزلَ غَزَّة ، فبعثَ إليه عِلجُها : أن ابعَث إليّ رجلًا من أصحابِك أُكلّمه. ففكّر عمرو وقال: ما لهذا أحدٌ غيري.

قال : فخرج حتى دخل على العِلج فكلّمه ، فسمِعَ كلاماً لم يسمَعْ قطُّ مثله ؛ فقال العِلج : حدّثني : هل في أصحابِك أحدٌ مثلُك ؟

قال : لا تسأل عن هذا ، إنّي هيّن عليهم ، إذ بعثوا بي إليك وعرّضوني لما عرّضوني له ، ولا يَدرون ما تصنعُ بي .

قال : فأمر له بجائزةٍ وكُسوةٍ وبعثَ إلى البوّابِ : إذا مَرَّ بك فاضرب عُنقه وخُذ ما معه .

فخرج من عنده فمرَّ برجلٍ من نَصارى غسّانَ فعرفه فقال : يا عمرو ، قد أحسنتَ الدخولَ فأحسِن الخُروج .

ففَطنَ عمرو لما أرادَه، فرجَع. فقال له الملك: ما ردَّك إلينا؟

قال : نظرتُ فيما أعطيتني فلم أجد ذلك يَسعُ بني عمّي فأردتُ أن آتيك بعشرةٍ منهم تُعطيهم هذه العَطيّة ، فيكون معروفُك عند عشرةٍ خيراً من أن يكونَ عند واحدٍ .

فقال : صدقتَ ، اعجَل بهم .

وبعث إلى البواب أن خلِّ سبيلَه . فخرج عمرو وهو يلتفِتُ ، حتى إذا أمِن ، قال : لا عُدتُ لمثلها أبداً . فلما

صالحه عمرو ودخل عليه العِلجُ ، قال له : أنت هو ؟
قال : نعم ، على ما كان من غَدْرِك .

•

ولما أُتي بالهُرمزانِ أسيراً إلى عمر بن الخطاب قيل له : يا أمير المؤمنين ، هذا زعيمُ العَجم وصاحب رُستَم[1] ، فقال له عمر : أعرِضُ عليك الإسلام نُصحاً لك في عاجلك وآجلك .
قال : يا أمير المؤمنين ، إنما أعتقدُ ما أنا عليه ولا أرغب في الإسلام .
فدعا له عمر بالسيف . فلما همّ بقتله ، قال : يا أمير المؤمنين ، شَربةٌ من ماءٍ أفضلُ من قتلي على ظمإٍ .
فأمر له عمرُ بشربة من ماء ، فلما أخذها قال له : أنا آمنٌ حتى أشربها ؟
قال : نعم .
فرمى بها وقال : الوفاءُ ، يا أميرَ المؤمنين ، نورٌ أبلجُ .
قال : صدقتَ ، لك التوقّفُ عنك وأنظرُ في أمرك ، ارفعوا عنه السيفَ .
فلما رُفع عنه قال : الآن يا أمير المؤمنين أشهدُ أن لا إله

---

١ رستم : هو ابن فرخزاد ، كان من أعظم رجال فارس ، وقائد جيوش يزدجرد ملك ساسان في وقعة القادسية التي انتصر فيها المسلمون وقتل فيها رستم.

إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وما جاء به حقّ من عنده .

قال عمر : أسلمتَ خيرَ إسلام ، فما أخّرك ؟

قال : كَرِهتُ أن يُظن أني أسلمت جَزعاً من السيف ، وإيثاراً لدينه بالرَّهبةِ .

فقال عمر : إنّ لأهلِ فارس عُقولاً بها استحقّوا ما كانوا فيه من المُلكِ .

ثم أمر به أن يُبَرّ ويُكرم . فكان عمر يشاوره في توجيه العساكرِ والجيوشِ لأهل فارس .

•

وهذا نظير فِعل الأسير الذي أُتي بـه معنُ بن زائـدة في جُملة الاسرى ، فأمر بقتلِهم ، فقال له : أتقتلُ الأسرى عِطاشاً يا معن ؟ فأمر بهم فسُقوا ، فلما شربوا قـال : أتقتلُ أضيافَك يا معن ؟ فخلى سبيلَهم .

•

وذكروا : أنّ مَلِكاً من ملوكِ العَجَم كان معروفاً ببعد الغَور ويقظة الفطنةِ وحُسنِ السياسة ، وكان إذا اراد مُحاربة ملِك من الملوك وجّه إليه من يَبحَث عن أخباره وأخبار رعيّته قبل أن يُظهرَ مُحاربَته ، فيَكشِفُ عن ثلاثِ خِصالٍ من حاله ، فكان يقول لعُيونه : انظروا هل تَرِدُ على الملك أخبارُ رعيّته

على حقائقها أم يَخدَعُه عنها المُنهي ذلك إليه ؟ وانظروا إلى الغنى في أي صِنف هو من رعيّته، أفيمن اشتدّ أنَفُه وقلّ شَرهُه؟ أم فيمن قلّ أنَفُهُ واشتدّ شرهُه ؟ وانظروا في أي صِنفي رعيّته القوّامُ بأمره ، أفيمن نظرَ ليومه وغدِه؟ أم من شَغله يومُه عن غدِه ؟

فإن قيلَ له : لا يُخدَعُ عن أخبار رعيّته ، والغِنى فيمن قلّ شَرهُه واشتدّ أنَفُه، والقوّام بأمره من نظرَ ليومه وغده؛ قال : اشتغِلوا عنه بغيره . وإن قيل له ضدّ ذلك ؛ قال : نارٌ كامنةٌ تنتظرُ مُوقِداً ، وأضغانٌ مُزَمَّلة[1] تنتظر مُخرجاً ، اقصِدوا له ، فلا حَيْنَ أحْيَنُ من سلامةٍ مع تَضييعٍ ، ولا عدوّ أعدى من أمنٍ أدى إلى اغترارٍ .

•

وكانت ملوكُ العجم قبلَ ملوك الطوائف تنزِل بَلخ، ثم نزلت بابلَ ، ثم نزَل أردشيرُ بن بابَك فارسَ ، فصارت دارَ مملكتهم ، وصار بخُراسان ملوكُ الهَياطلة ، وهم الذين قتلوا فَيروزَ بن يزدَجِرد بن بَهرام ملِك فارس ، وكان عَزاهم. فكادَه مَلِكُ الهَياطلة[2] بأن عَمدَ إلى رجلٍ ممن عرَفه بالمُكايدة وحُسن الإدارة،

---

١ مزملة : مستورة .

٢ قيل ان هذا الملك كان يدعى اخشنوار .

فأظهرَ السُّخط عليه، ووقّع به على أعينِ الناس توقيعاً قبيحاً، ونكّل به تنكيلاً شديداً ثم أرسله، وقد واطأه على أمرٍ أبطنه معه وظاهَرَه عليه. فخرج حتى أتى فَيروزَ في طريقه، فأظهر له النزوع اليه والاستنصار به من عظيم ما ناله؛ فلما رأى فيروز ما به من التوقيعِ والنّكاية فيه، وثِقَ به واستنام إليه؛ فقال له: أنا أدلُّك أيها الملكُ على غِرّة القوم وعورتهم، وأُعلمُك مكان غَفلتهم.

فسلَك به سَبيلَ مَهلكةٍ مُعطِشةٍ؛ ثم خرَج إليه ملكُ الهَياطلة فأسره وأكثرَ أصحابه. فسألهم أن يمنّوا عليه وعلى من معه، وأعطاهم مَوثِقاً لا يغزوهم أبداً، ونَصب لهم حجراً جعله حدّاً بينه وبينهم، وحلَف لهم أن لا يُجاوزَه هو ولا جنوده، وأشهد الله عليه وعلى من حضر من قرابته وأساورته، فمنّوا عليه وأطلقوه ومن معه.

فلما عادَ إلى مملكتِه أخذته الأنفةُ مما أصابَه، فعاد إلى غَزوِهم ناكثاً لعهدِه، غادراً بذمّتِه، إلا أنه لطفَ في ذلك بحيلة ظنّها مُجزيةً في أيمانه، فجعلَ الحجرَ الذي نصبَه لهم على فيلٍ في مقدّمة عسكرِه، وتأوّلَ في ذلك أنه لا يُجاوزه.

فلما صار إليهم ناشدوه اللهَ وذكّروه الأيمانَ به، وما جعل على نفسِه من عهده وذمّتِه، فأبى إلا لجَاجاً ونكثاً، فواقعوه فظفروا به فقتلوه وقتلوا حُماتَه، واستباحوا عسكره.

•

أُسامةُ بن زيد الليثي قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا غزا أخذ طريقاً وهو يُريد أخرى ويقولُ : الحربُ خُدعة .

•

زيادٌ عن مالِك بن أنَس قال : كان مالكُ بنُ عبد الله الخثعَمي ، وهو على الصائفة[1] ، يقوم في الناس كلما أراد أن يرحَلَ ، فيحمَدُ الله تعالى ويُثني عليه ، ثم يقولُ : إني دارِبٌ بالغَداة إن شاء الله تعالى دَرْبَ كذا . فتتفرَّقُ الجواسيسُ عنه بذلك ، فإذا أصبحَ الناسُ سلَك بهم طريقاً أُخرى . فكانتِ الرومُ تسمّيه الثعلبَ .

---

١ الصائفة : الغزاة في زمن الصيف .

وصايا أمراء الجيوش

كتب عمرُ بنُ عبد العزيز إلى الجرّاح : إنه بلغني أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعثَ جيشاً أو سريّة قال : اغزوا بسم الله ، وفي سبيل الله ، تُقاتلون مَن كفرَ بالله ، لا تَغُلّوا ، ولا تَغدِروا ، ولا تُمَثّلوا ، ولا تقتلوا امرأةً ولا وليداً ؛ فإذا بعثتَ جيشاً أو سريّة فمُرهم بذلك.

•

وكان عمرُ بن الخطاب يقول عند عَقد الألوية : بسم الله وبالله وعلى عَون الله ، امضوا بتأييد الله والنّصر ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله مَن كفر بالله ، ولا تَعتَدوا إن الله لا يُحب المعتدين ، ولا تجبُنوا عند اللقاء ، ولا تُمَثّلوا عند القُدرة ، ولا تُسرفوا عند الظهور ، ولا تَقتلوا هَرِماً ولا امرأة ولا وليداً . وتوقّوا قتلهم إذا التقى الزّحفان ، وعند شَنّ الغارات .

•

ولما وجّه أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان إلى الشام شيّعه راجلاً ، فقال له يزيد : إمّا أن تركب وإمّا أن أنزل ؛ فقال : ما أنت بنازل وما أنا براكب ، إني أحتسِبُ خُطاي هذه في

سبيل الله. ثم قال: إنك ستجدُ قوماً حَبَسوا أنفسهم لله، فَذرهم وما حَبَسوا أنفسهم له، يعني الرُّهبان، وستجدُ قوماً فَحصوا عن أوساط رؤوسهم الشعَر، فاضرب ما فَحصوا عنه بالسيف.

ثم قال له: إني مُوصيك بعشرٍ: لا تغدر، ولا تُمَثِّل، ولا تقتل هَرِماً ولا امرأةً ولا وليداً، ولا تَعقِرنَّ شاةً ولا بعيراً إلا ما أكلتم، ولا تحرُقنَّ نخلاً، ولا تُخرِبنَّ عامراً، ولا تَغُلَّ، ولا تجبن.

•

وقال أبو بكرٍ رضي الله عنه لخالد بن الوليد حين وجَّهه لقتال أهل الردّة: سر على بركةِ الله، فإذا دخلت أرضَ العدوّ فكُن بعيداً من الحَملة، فإني لا آمن عليك الجَولة؛ واستظهر بالزاد، وسِر بالأدلاّء، ولا تقاتِل بمجروحٍ فإنّ بعضه ليس منه، واحترس من البَيات فإنّ في العرب غِرّةً. وأقلّ من الكلام فإنما لك ما وُعي عنك؛ واقبل من الناس عَلانيَتهم، وكِلهم إلى الله في سرائرِهم، وأستودعُك الله الذي لا تَضيع ودائعه.

•

كتب خالدُ بنُ الوليد إلى مرازبة فارس مع ابنِ نُفَيلة الغَسّاني[1]: الحمدُ لله الذي فضّ حُزمَتكم، وفرّق جَمعكم،

---

١ هو عبد المسيح بن نفيلة الغساني.

وأوهنَ بأسَكم ، وسَلَب مُلككم ، وأذلَّ عِزَّكم ، فإذا أتاكم كتابي هذا فابعثوا إلي بالرُّهُنِ ، واعتقدوا منّا الذِمّةَ ، وأجيبوا إلى الجزيةِ ، وإلاّ والله الذي لا إلـه إلا هـو ، لأسيرنّ إليكم بقومٍ يُحِبّون الموتَ كما تُحِبّون الحياة ، ويَرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا .

•

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنهما ومن معه من الأجناد : أما بعد ، فإني آمرُك ومن معك من الأجنادِ بتقوى الله على كل حالٍ ، فإن تقوى الله أفضلُ العُدّةِ على العدوّ ، وأقوى المَكيدة في الحربِ ؛ وآمرُك ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتراساً من المعاصي منكم من عدوّكم ، فإنّ ذنوب الجيشِ أخوفُ عليهم من عـدوّهم ؛ وإنما يُنصرُ المُسلمون بمعصية عدوّهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوّة ، لأنّ عددنا ليس كعددِهم ، ولا عُدّتنا كعدّتهم ، فإن استَوينـا في المعصية كان لهم الفضلُ علينـا في القوّة ، وإلا نُنصَر عليهم بفضلنا لم نغلِبهم بقوّتِنا .

واعلموا أنّ عليكم في مسيرِكم حفَظَـةً من الله يَعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا إنّ عدوّنا شرّ منّـا فلن يُسلَّط علينـا وإن

أسأنا ، فربَّ قوم قد سُلِّط عليهم شرّ منهم كما سُلِّط على بني إسرائيل لِمَا عملوا بمَساخِطِ الله كُفّارُ المجوس « فجاسوا خِلالَ الدِّيارِ وكان وعداً مفعولاً . » واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوّكم ، أسألُ الله ذلك لنا ولكم .

وترفّق بالمسلمين في مَسيرهم ؛ ولا تُجشّمهم مسيراً يُتعبهم ، ولا تُقصّر بهم عن منزلٍ يَرفُق بهم ، حتى يبلغوا عدوّهم ، والسفرُ لم يَنقُص قوّتهم ، فإنهم سائرون إلى عدوٍّ مقيمٍ حامي الأنفس والكُراعِ[1] .

وأقم بمن معَك في كل جمعة يوماً وليلةً ، حتى تكون لهم راحة يُحيون فيها أنفسَهم ، ويُرمّون[2] أسلحتهم وأمتعتهم .

ونَحِّ منازلهم عن قُرى أهلِ الصلحِ والذِمّة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثقُ بدينه ، ولا يرزأ أحداً من أهلِها شيئاً ، فإن لهم حُرمةً وذِمّةً ابتُليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصّبر عليها ، فما صبروا لكم فتولّوهم خيراً .

ولا تستنصروا على أهل الحَرب بظلم أهل الصلح . وإذا وطئتَ أرض العدو فأذكِ العيون[3] بينك وبينهم ، ولا يخفَ عليك أمرُهم .

---

١ الكراع : الخيل .

٢ يرمون : يصلحون .

٣ اذك العيون : ارسل الجواسيس .

وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئنُّ إلى نُصحه وصِدقه ، فإنّ الكـــذوب لا ينفعُـك خبره وإن صدَقك في بعضه ، والغاشّ عينٌ عليك وليس عيناً لك .

وليكن منك عنـد دنوّك من أرضِ العـــدوّ أن تُكثر الطَّلائعَ وتبُثَّ السَّرايا بينك وبينهم ، فتقطع السرايا أمدادَهم ومرافقهم ، وتتبعُ الطلائعُ عوراتهم .

وانتقِ للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابـك ، وتخيَّر لهم سوابق الخيل . فإن لقوا عدوًّا كان أول مـا تلقـاهم القوة من رأيك .

واجعل أمر السَّرايا إلى أهل الجِهاد والصبر على الجـلاد ، لا تخُصَّ بها أحداً بهوًى ، فيضيعَ من رأيك وأمرك أكثرُ مما حابيتَ به أهلَ خاصّتك .

ولا تبعثنَّ طليعةً ولا سريّة في وجـهٍ تتخوفُ عليهـا فيه غلبةً أو ضَيعةً ونكايةً . فإذا عاينتَ العدوَّ فاضمُم إليك أقاصيَك وطلائعَك وسراياك ، واجمع إليك مَكيدتك وقوّتك ، ثم لا تُعاجلهم المُناجزة ، ما لم يستكرهك قِتالٌ ، حتى تُبصِرَ عورةَ عدوّك ومَقاتلَه ، وتَعرِفَ الارضَ كلَّها كمعرفة أهلها بها ، فتصنَعَ بعدوّك كصُنعِه بك ، ثم أذكِ أحراسَك على عَسكرِك ، وتيقظ من البَيات جُهدك .

ولا تُؤتى بأسير ليس له عقدٌ[1] إلا ضَربتَ عُنقَه ، لترهِبَ بذلك عدوَّ الله وعدوَّك . والله وليّ أمرك ومن معك ، ووليُّ النصر لكم على عدوكم ، والله المستعانُ .

•

وأوصى عبدُ الملك بن مروان أميراً سيَّره إلى أرضِ الروم فقال : أنت تاجرُ الله لعبـاده ، فكن كالمُضـارب الكيِّس[2] الذي إن وجد رِبحـاً تَجَر ، وإلا تحفَّظ برأسِ المـال ؛ ولا تطلُبِ الغَنيمة حتى تُحرز السلامةَ ، وكُن من احتيـالك على عدوِّك أشدَّ حذراً من احتيالِ عدوِّك عليك .

•

وكان زيادٌ يقولُ لقـوّاده : تجنَّبوا اثنين لا تُقاتلوا فيهما العدوَّ : الشتاءَ وبُطونَ الأودية .

وأغزى الوليدُ بن عبد الملك جيشاً في الشتاء، فغنموا وسلِموا، فقال لعبّاد[3]: يا أبا حرب ، أينَ رأي زيادٍ من رأيِنا ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قد أخطـأت ، وليس كلُّ عَورةٍ تُصابُ .

•

---

١ لعله من عقد له الرئاسة في قومه اي جعلـها له ، او من عقد له على الجيش اي رأسه عليه .

٢ الكيس : الفطن .

٣ هو عباد بن زياد .

العُتْبي قال : جاشتِ الروم وغزوا المسلمين برًّا وبحراً ، فاستعملَ مُعاويةُ على الصائفة عبد الرَّحمن بن خالد بن الوليد ، فلما كتب له عهده قال : ما أنت صانعٌ بعهدي ؟

قال : أتَّخِذُه إماماً لا أعصيه .

قال : اردُد عليَّ عهدي .

ثم بعث إلى سفيانَ بن عوف الغامديّ فكتب له عهده ، ثم قال له : ما أنت صانعٌ بعهدي ؟

قال : أتخذُه إماماً أمام الحَزم ، فإن خالفَه خالفته .

فقال معاوية : هذا الذي لا يُكفكَف من عَجلةٍ ، ولا يُدفع في ظهرِه من خَور ، ولا يُضرَب على الأمور ضربَ الجملِ الثَّفال[1] .

•

وقال دُريد بن الصِّمَّةِ لمالك بن عوف النَّصري قائد هَوازن يوم حُنين : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومِك ، وإن هذا يومٌ له ما بعده من الأيامِ ، مالي أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، وبُكاء الصغير ؟

قال : سُقتُ مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم .

قال : ولِمَ ذاك ؟

---

١ الثفال : البطيء .

قال : أردتُ أن أجعلَ خلفَ كلِّ رجلٍ أهلَه ومالَه ليُقاتِلَ عنهم .

فانقَضَ به[1] وقال : راعي ضأنٍ والله ! وهل يَرُدُّ المُنهزِمَ شيءٌ ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعْك إلا رجلٌ بسيفه ورُمحه ، وإن كانت عليك فُضِحْتَ في أهلِك ومالِك ؛ ويحَك ! إنك لم تصنع بتقديم البيضةِ بَيضةِ هَوازن[2] إلى نُحورِ الخيل شيئاً ، ارفعهم إلى مُتمنَّعِ بِلادِهم ، وعُليا قومِهم ، ثم القَ الصُّبّاءَ[3] على مُتونِ الخيل ، فإن كانت لك لَحِق بك من وراءك ، وإن كانت عليك كنتَ قد أحرزتَ أهلَك ومالَك .

قال : لا والله لا أفعلُ ذلك ، إنك قد كَبِرت وذَهَل عقلُك .

قال دُريد : هذا يومٌ لم أشهده ولم يَفُتْني ؛ ثم أنشأ يقول :

يا ليتني فيها جَذَعْ ، أخُبُّ فيها وأضَعْ[4]

أقُودُ وَطفاءَ الزَّمَع ، كأنها شاةُ صَدَعْ[5]

•

---

١ أنقض به : زجره .

٢ بيضة هوازن : جماعتهم .

٣ الصباء ، واحدهم صابيء : أي المسلمين . سموهم كذلك لصبئهم اي خروجهم من دين الجاهلية الى الاسلام .

٤ الجذع : الشاب . الخبب والوضع : ضربان من السير .

٥ قوله : وطفاء ، اي فرساً وطفاء ، وهي الطويلة الشعر . الزمع : الشعر الذي فوق مربط قيد الدابة . الشاة : اراد الوعل اي تيس الجبل . الصدع من الأوعال والظباء والحمر : الفتي الشاب القوي .

وكان قُتيبةُ بنُ مُسلمٍ يقول لأصحابه: إذا غَزوتم فأطيلوا الأظفارَ، وقَصّروا الشُّعور، والحَظوا الناسَ شَزراً، وكلِّمُوهم رمزاً، واطعنوهم وخزاً.

•

وكان أبو مسلم يقول لقواده: أشعِروا قُلوبَكم الجُرأة فإنها من أسبابِ الظَّفرِ، وأكثِروا ذِكرَ الضغائنِ فإنها تبعَثُ على الإقدام، والزموا الطاعةَ فإنها حِصْنُ المحارب.

•

وكان سعيدُ بن زيد يقول لبَنِيه: قَصّروا الأعِنّةَ، واشحذوا الأسنّةَ، تأكلوا القريبَ، ويَرْهَبْكم البعيدُ.

•

وقال عيسى بن موسى: لما وجّهني المنصورُ إلى المدينة لمحاربة بني عبد الله بن الحسن، وجعل يوصيني ويُكثِرُ، قلت: يا أميرَ المؤمنينَ، إلى متى تُوصيني:

إني أنا ذاكَ الحُسامُ المِنْدي، أكلتُ جَفْني وفَرَيْتُ غِمْدي

فكُلُّ ما تطلُبُ عِنْدي عِنْدي

المحاماة عن العشيرة ومنع المستجير

قال عبد الملك بن مروان لجُعيل بن عَلقمة الثعلبي: ما مَبلغ عزّكم ؟ قال : لم يُطمع فينا ولم يُؤمن منّا . قال : فما مبلغُ حِفظِكم ؟ قال : يَدفَعُ الرجلُ منّا عمن استجار به من غير قومِه كدِفاعِه عن نفسه . قال عبد الملك: مثلك من يصف قومه.

•

وقال عبد الملك بن مروان لابن مُطاع العنزي : أخبرني عن مالك بن مِسْمَع ؛ قال : لو غَضِب مالكٌ لغَضِب معه مائةُ ألفِ سَيْفٍ لا يسألونه في أي شيء غَضِب . قال عبد الملك : هذا والله السُؤدُد .

قال: ولم يَلِ قطُّ مالك بن مِسْمَع ولا أسماءُ بن خارجة شيئاً للسلطان .

•

وكانت العرب تَمتدح بالذَّبّ عن الجار فيقولون : فلانٌ مَنيع الجارِ ، حامي الذِّمار . نعم ، حتى كان فيهم من يحمي الجراد إذا نزلَ في جِواره فسُمّي بُجيرَ الجراد .

•

وقال مَرْوانُ بنُ أبي حَفْصة يمدحُ مَعْنَ بن زائدة ويصف مَفاخر بني شَيْبان ومَنْعَهم لمن استجار بهم :

هم القومُ، إن قالُوا أصابُوا، وإن دُعُوا
أجابُوا، وإن أعطَوا أطابُوا وأجْزَلُوا

هُمُ يَمنعون الجارَ، حتى كأنما
لجارِهِمُ بينَ السِّماكَين مَنْزِلُ

•

وقال آخر :

هُمُ يمنعون الجارَ، حتى كأنه
كَتِيبةُ زَوْرٍ بينَ خافِيَتَيْ نَسْرِ[1]

•

وذُكر أن معاوية ولّى كثير بن شهاب المَذْحِجي خُراسان، فاختان[2] مالاً كثيراً ثم هرب فاستتر عند هانىء بن عروة المُرادي، فبلغ ذلك معاوية، فهَدَرَ دمَ هانىء، فخرج هانىء الى معاوية فكان في جواره، ثم حضر مجلسَه وهو لا يعرفه، فلما نَهَضَ الناس ثبَتَ مكانه، فسأله معاوية عن أمره، فقال : أنا هانىء ابن عُروة .

---

١ كتيبة الزور : مجتمعه . والزور : ملتقى أطراف عظام الصدر .
٢ اختان : سرق .

فقال : إنّ هذا اليوم ليس باليوم الذي يقول فيه أبوك :

أُرجِّل جُمّتي ، وأجرُّ ذَيلي ، وتحمِلُ شِكتي أُفُقٌ كُمَيتُ[1]

وأمشي في سَراة بني عُطَيفٍ ، إذا ما ساءني أمرٌ أبَيتُ

قال : أنا ، والله يا أميرَ المؤمنين ، اليَومَ ، أعزّ منّي ذلك اليوم .

قال : بِمَ ذلك ؟

قال : بالاسلام .

قال : أين كَثِيرُ بن شِهاب ؟

قال : عندي وعندك يا أمير المؤمنين .

قال: انظر الى ما اختانه، فخذ منه بعضاً ، وسوّغه[2] بعضاً ، وقد أمّنّاه ووهبناه لك .

•

الشيباني قال : لما نزل محمد بن أبي بكر مصر وصَيّر اليه

---

١ الجمة : ما سقط من الشعر على المنكبين . الشكة : السلاح ، من درع ومغفر وسيف ورمح . الأفق : الفرس الرائعة الكريمة . الكميت : من الكمتة ، وهي لون بين السواد والحمرة . يصف نفسه في صدر البيت بالنعمة ، وفي عجزه بشدة البأس .

٢ سوغه : جوزه.

معاويةُ معاويةَ بن حُدَيْج الكِندي، تفرَّق عن محمد من كان معه، فتغيَّبَ فدُلَّ عليه، فأخذه وضرب عنقه وبعث برأسه الى معاوية، وكان أول رأس طيف به في الاسلام.

وكان محمد بن جعفر بن أبي طالب معه، فاستجار بأخواله من خَثْعَم فغيَّبوه، وكان سيد خَثْعَم يومئذٍ رجلًا في ظهره بَزَخ[1] من كسرٍ أصابه، فكان إذا مشى ظنَّ الجاهلُ أنه يتبختر في مِشْيته، فذُكر لمعاوية أنه عنده، فقال له: أسْلِم إلينا هذا الرجل.

فقال: ابنُ أختِنا لجأ الينا لنَحْقِنَ دمَه، فدَعْه عنك يا أميرَ المؤمنين.

قال: والله لا أدعه حتى تأتيني به.

قال: لا والله لا آتيك به.

قال: كذبتَ، والله لتأتيني به، إنك ما علمتُ لأوْرَه[2].

قال: أجل، إني لأوره حين أقاتلك على ابن عمّك لأحقن دمه وأقدّم ابن عمي دونه تسفِك دمه.

فسكت عنه معاوية وخلى بيني وبينه.

•

---

١ البزخ في الجسم: ضد الحدب، وهو ان يخرج الصدر ويدخل الظهر.

٢ الاوره: الاحمق.

الشيباني قال: قال سعيدُ بن سَلم: أهدر المَهديُّ دمَ رجل من أهل الكوفة كان يسعى في فساد دولته ، وجعل لمن دلَّه عليه أو جاءه به مائة ألف دِرْهم .

قال: فأقام الرجل حيناً متوارياً ثم إنه ظهَر بمدينة السلام، فكان ظاهراً كغائب ، خائفاً مترقّباً .

فبينا هو يمشي في بعض نواحيها إذ بَصُر به رجل من أهل الكوفة فعرفه ، فأهوى الى مجامع ثوبه ، وقال : هذا بُغْية أمير المؤمنين ؛ فأمكن الرجلَ من قيادِه ، ونظَر الى الموت أمامه .

فبينما هو على تلك الحالة إذ سمع وقْعَ الحوافرِ من وراءِ ظهره ، فالتفت فإذا معنُ بن زائدة ، فقال: يا أبا الوليد ، أجِرْني أجارك الله .

فوقف وقال للرجل الذي تَعلّق به : ما شأنُك؟

قال : بُغية أمير المؤمنين ، الذي أهدَر دمَه وأعطى لمن دلّ عليه مائة ألف .

فقال : يا غلام ، انزل عن دابَّتِك واحمِل أخانا .

فصاح الرجل : يا معشر الناس، يُحال بيني وبين من طلبه أمير المؤمنين !

قال له معن : اذهب فأخبره أنّه عندي .

فانطلق الى باب أمير المؤمنين ، فأخبر الحاجبَ ، فدخل الى المهدي فأخبره ، فأمر بحَبْس الرجل ، ووجَّه الى مَعنٍ من يحضُر به .

فأتته رسل أمير المؤمنين وقد لبس ثيابه ، وقُرِّبت اليه دابته ، فدعا أهل بيته ومواليه فقال: لا يَخلُصَنَّ الى هذا الرجل وفيكم عينٌ تَطْرِف ؛ ثم رَكب ودخل حتى سلم على المهدي ، فلم يردّ عليه ؛ فقال : يا معن ، أتجير عليّ ؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

قال : ونعم أيضاً ! واشتد غضبه .

فقال معن : يا أمير المؤمنين ، قتلت في طاعتكم باليمن في يوم واحد خمسة عشر ألفاً ، ولي أيامٌ كثيرة قد تقدم فيها بلائي ، وحسُنَ غَنائي ، فما رأيتموني أهلًا أن تهبوا لي رجلًا واحداً استجار بي ؟

فأطرق المهدي طويلًا ، ثم رفع رأسه وقد سُرِّي عنه ، فقال: قد أجرنا من أجرت .

قال معن : فإن رأى أمير المؤمنين أن يصِله فيكون قد أحياه وأغناه فَعل .

قال : قد أمرنا له بخمسين ألفاً .

قال : يا أمير المؤمنين ، ان صلات الخلفاء تكون على قدر

جنايات الرعية ، وإن ذنب الرجل عظيمٌ ، فأجزل له الصلة .

قال : قد أمرنا له بمائة ألف .

قال : فتعجَّلها يا أمير المؤمنين فإن خير البرّ عاجله .

فأمر بتعجيلها. فدعا لأمير المؤمنين بأفضل الدعاء ، ثم انصرف ولحقه المال ؛ فدعا الرجلَ ، فقال له : خذ صِلتك ، والحق بأهلك ، وإياك ومخالفةَ خلفاء الله تعالى .

•

الجبن والفرار

قال عمرو بن مَعديكرب : الفزَعات ثلاثٌ : فمن كانت فزعته في رجليه ، فذلك الذي لا تُقِلُّه رجلاه ؛ ومن كانت فزعته في رأسه، فذلك الذي يفرُّ عن أبويه ؛ ومن كانت فزعته في قلبه ، فذلك الذي يُقاتل .

•

وقال الأحنف بن قيس: أسرع الناس إلى الفتنة أقلهم حياء من الفرار .

•

وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: إن لله خلقاً قلوبهم كقلوب الطير ، كلما خَفَقت الريح خَفَقت معها ، فأفّ للجبناء ، فأفّ للجبناء !

•

وقال الشاعر :

يَفِرّ الجبانُ عن أبيه وأمه ،
ويَحْمِي شجاعُ القوم من لا يُناسبُه

ويُرزَقُ معروفَ الجَوادِ عَدوُّه ،
ويُحرَمُ معروفَ البخيلِ أقاربُه

•

وقال خالد بن الوليد عند موته : لقد لقيتُ كذا وكذا زحفاً، وما في جسمي موضع شبر الا وفيه ضربةٌ أو طعنةٌ أو رَمْيةٌ، ثم هأنذا أموتُ حتْفَ أنفي كما يموتُ العَير، فلا نامت أعينُ الجُبناء .

•

ومن أشعار الفرّارين الذين حسّنوا فيها الفرار على قُبحه حتى حَسُن، قول الفرّار السُّلَمي[1] :

وكَتيبةٍ لَبَّسْتُها بكتيبةٍ ،
حتى إذا التبستْ نفضتُ لها يدي[2]

وتركتُهم تَقِصُ الرماحُ ظهورَهم ،
من بين مَقْتولٍ وآخرَ مُسْنَدِ[3]

---

١ هو حيان بن الحكم ، شاعر مخضرم .
٢ لبستها : خلطتها . نفضت لها يدي: كناية عن الاعراض عنها .
٣ تقص : تكسر . المسند : الذي امسك الى ما يسنده وبه رمق .

هل يَنفَعَنّي أن تقولَ نساؤهم ،
وقُتلتُ دونَ رجالها : لا تَبْعَدِ !

•

وقال أبو عبيدة مَعمَر بن المثنّى : ما اعتذر أحدٌ من الفرّارين بأحسن مما اعتذر به الحارث بن هشام حيث يقول :

الله يَعْلمُ ما تَركتُ قِتالَهم ،
حتى رمَوْا مُهْري بأشقَرَ مُزبدِ[1]

فَصدَقْتُ عنهم والأحبّةُ فيهمُ ،
طَمعاً لهم بعِقابِ يومٍ مُرْصدِ[2]

وهذا الذي سمعه رَتْبيل[3] فقال : يا معشر العرب ، حسّنتم كل شيء فحَسُن حتى الفرار .

وبعد هذا يأتي قول حسان في ذلك .

وأسلم الحارث يوم فتح مكة وحَسُن اسلامه ، وخرج في

---

١ يريد بالاشقر : الدم . المزبد : الذي علاه الزبد .

٢ يريد : أعرضت عنهم لطمعي في أن يعقب الله لي يوماً يرصد الشر لهم ويمكنني منهم فأنتهز الفرصة .

٣ رتبيل : لقب لملوك سجستان .

زمن عمر الى الشام من مكة بأهله وماله ، فاتّبعه أهلُ مكة يبكون، فرقّ وبكى وقال : أما لو كنّا نستبدِل داراً بدارنا، أو جاراً بجارِنا ، ما رأينا بكم بدلاً ، ولكنها النُقلة الى الله .

•

وقال آخر :

قامت تشجّعني هِنْدٌ ، وقد علمتْ
أنّ الشجاعةَ مَقْرونٌ بها العَطَبُ

لا والذي مَنَع الأبصارَ رُؤيتَه ،
مَا يَشْتهي الموتَ عندي مَنْ له أدبُ

لِلحربِ قومٌ أضَلّ الله سَعْيَهمُ ،
إذا دَعَتْهم إلى نِيرانِها وَثَبوا

ولستُ مِنْهم ولا أبغي فِعالَهمُ ،
لا القَتْلُ يُعْجبني منهم ولا السَّلَبُ

•

وقال محمود الوراق :

أيها الفارسُ المُشيح المُغيرُ !
إنّ قَلْبي من السّلاح يَطيرُ[1]

---

١ المشيح : الجاد الماضي في اموره .

ليس لي قُوَّةٌ على رَهَجِ الخَيْلِ،
إذا ثَوَّرَ الغُبارَ مُثيرُ[1]

واستدارت رحَى الحُروب بقَوْمٍ،
فقَتيلٌ وهاربٌ وأَسيرُ

حيثُ لا يَنْطِقُ الجَبانُ من الذُّعْرِ،
ويَعْلُو الصِّياحُ والتَّكْبيرُ

أنا في مثْلِ ذا وهذا بَليدٌ،
ولَبيبٌ في غيرِهِ نِحْريرُ[2]

•

وقال أيمن بن خُريم :

إنَّ للفِتْنة مَيْطاً بَيِّناً، فرُوَيْدَ المَيْطَ منها يَعْتَدِلْ[3]
فإذا كانَ عَطاءٌ فأتِهم؛ وإذا كان قِتَالٌ فاعتزِلْ
إنَّما يُوقِدُها جُهّالُها حَطبَ النارِ، فدَعْها تَشْتَعِلْ

•

---

١ الرهج : الغبار الساطع .
٢ النحرير : الحاذق الفطن العاقل .
٣ ميطاً : صخباً وشدة .

ومما يحتج به الفرّارون: ما قاله صاحب كَلِيلةَ ودِمْنةَ: ان الحازمَ يكرَهُ القتال ما وجد بدّاً منه، لأن النَّفَقة فيه من النفس، والنفقة في غيره من المال.

أخذ هذا المعنى حبيبٌ الطائي فنظمه في شعره حيث يقول:

كم بَيْنَ قومٍ إنّما نَفقاتُهم مالٌ، وقومٍ يُنْفقون نُفوسَا

•

ومن الفرّارين: عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فر من الأزارقة وكان في عشرة آلاف، وكان قد بَعث اليه المُهلَّب: يابن أخي، خندق على نفسك وعلى أصحابك فإني عالم بأمر الخوارج ولا تغترّ. فبعث اليه: أنا أعلمُ بهم منك، وهم أهون علي من ضرطة الجمل. فبيّته قَطَريّ صاحب الأزارقة، فقتل من أصحابه خمسمائة وفر لا يلوي على أحد، فقال فيه الشاعر:

تَرَكْتَ وِلْدانَنا تَدْمَى نُحُورُهُمُ،
وجِئْتَ مُنهزماً يا ضَرْطةَ الجَمَلِ

•

ومن الفرّارين: أُمية بن عبد الله بن خالد بن أَسيد، فرّ يوم مَرداء هَجَر[1] من أبي فُديك، فسار من البحْرَين الى البصرَة

---

١ موضع بهجر.

في ثلاثة أيام ، فجلس يوماً بالبصرة فقال : سرت على فرسي المِهْرجان من البحرين الى البصرة في ثلاثة أيام .

فقال له بعضُ جلسائه : أصلح الله الأميرَ ، فلو ركبتَ النَّيْروز لسِرْت اليها في يوم واحد .

فلما دخل عليه أهل البصرة لم يرَوا كيف يُكلّمونه ، ولا ما يُلقونه من القول، أيهنئونه أم يُعزّونه، حتى دخل عليه عبد الله بن الأهتم فاستشرفَ الناس له وقالوا : ما عسى أن يقال للمنهزِم ؟ فسلم ثم قال : مرحباً بالصّابر المخذول ، الذي خذله قومه . الحمد لله الذي نظر لنا عليك ولم يَنظُر لك علينا ، فقد تعرّضت للشهادة جُهدك، ولكن علم الله حاجة أهل الاسلام اليك فأبقاك لهم بخذلان من معك لك .

فقال أُمية بن عبد الله : ما وجدتُ أحداً أخبرني عن نفسي غيرك .

وفيه يقول الشاعر :

إذا صَوّتَ العُصفورُ طارَ فؤادُه ،
ولَيثٌ حَديدُ النّابِ عِنْد الشّرائدِ

•

أُتي الحجّاج بدوابّ من دوابّ أُمية قد وسم على أفخاذها

عُدّةٌ ، فأمر الحجاج أن يُكتب تحت ذلك : للفرار .

•

وقال أبو دلامة : كنت مع مروان[1] أيام الضحاك[2] الحروريّ ، فخرج فارس منهم فدعا الى البراز ، فخرج اليه رجل فقتله ، ثم ثانٍ فقتله ، ثم ثالث فقتله . فانقبض الناس عنه وجعل يدنو ويهْدِر كالفحل المغتلم . فقال مروان : من يخرج اليه وله عشرة آلاف؟

قال : فلما سمعت عشرة آلاف هانت عليّ الدنيا وسخَوْت بنفسي في سبيل عشرة آلاف وبرَزت اليه ، فإذا عليه فَرْوٌ قد أصابه المطر فارمَعَلّ[3] ، ثم أصابته الشمس فاقفعلّ[4] ، وله عينان تتقدان كأنهما جمرتان . فلما رآني فهم الذي أخرجني ، فأقبل نحوي وهو يرتجز ويقول :

وخارجٍ أخرجَه حُبُّ الطَّمَعْ ، فَرَّ من الموتِ وفي الموت وَقَعْ

مَن كان يَنْوي أهلَه فلا رجَع

فلما رأيته قنَّعت رأسي ، وولّيت هارباً ، ومروان يقول :

---

١ هو مروان بن محمد .

٢ هو الضحاك بن قيس الشيباني الحروري .

٣ ارمعل : ابتل .

٤ اقفعل : تقبض .

من هذا الفاضحُ ؟ لا يفُتْكم . فدخلت في غمار الناس .

•

وقيل لأعرابي : ألا تغزو العدوّ ؟ قال : وكيف يكونون لي عدوّاً وما أعرفهم ولا يعرفوني ؟

•

وقيل لآخر: ألا تغزو العدوّ؟ قال: والله اني لأبغض الموت على فراشي ، فكيف أخُبُّ اليه ركضاً !

•

ومما قيلَ في الفرّارين والجبناء من الشعر قولُ حسان بن ثابت يُعيّر الحارثَ بنَ هشام بفِراره يوم بدر :

إن كنتِ كاذبةَ الذي حدّثتِني ،
فنَجوتِ مَنْجَى الحارثِ بن هِشامِ

تركَ الأحبّةَ لم يُقاتِل دُونَهم ،
ونَجا برأسِ طِمِرّةٍ ولِجَامِ[1]

---

١ الطمرة : الانثى من الجياد .

ملأتْ به الفَرْجينِ فارمدَّت به ،
وثوَى أحبَّتُه بِشَرّ مُقام[1]

•

وقال بعض العراقيين في رجل أكول جبان :

إذا صوَّتَ العُصفُور طارَ فؤادُه ،
ولَيثٌ حديدُ النّابِ عند الثرائدِ

وقال فيه :

ضَعِيفُ القَلْبِ رِعْديدُ ، عَظيمُ الخَلْقِ والمَنْظَرْ
رأى في النوم عُصفوراً فوارَى نفسَه أشْهُرْ

•

وقال آخر :

لو جَرتْ خيلٌ نُكوصاً ، لجَرت خَيْلُ ذُفافَه
هي لا خَيْلَ رَجاءٍ ، لا ولا خَيْلَ مخافَه

•

---

١ ملأت به الفرجين : كناية عن سرعة الفرس في نقل قوائمها حتى لا تترك سعة بينها . ارمدت : أسرعت .

وقال آخر :

خَرَجْنا نُريدُ مُغاراً لنا ، وفينا زيادٌ أبو صَعْصعه
فستّةُ رَهْطٍ به خَمْسةٌ ، وخَمْسةُ رَهْطٍ به أربعه

•

ولم يقل أحد في وصف الجُبن والفرار مثل قول الطِّرِمّاح في بني تميم :

تَميمٌ بطُرْقِ اللُّؤْمِ أهدَى من القَطا ،
ولو سَلكت طُرْقَ المكارمِ ضَلّتِ

ولو أنّ بُرغوثاً على ظَهرِ قَملةٍ ،
رأته تميمٌ يوم زَحْفٍ لولّت

ولو جَمعتْ يوماً تميمٌ جُموعَها
على ذَرّةٍ مَعْقولةٍ ، لاشمعلّت[1]

•

وليس يعاب الشجاع والبُهْمة[2] البطل بالفرّةِ الواحدة تكون

---

١ المعقولة : المشدودة قوائمها بحبل . اشمعلت : تفرقت .

٢ البهمة : الشجاع الذي لا يهتدى من أين يؤتى .

منه خاصةً لا عامةً، كما قال زُفَرُ بن الحارث، وفرّ يومَ مَرج راهط[1] عن أبيه وأخيه فقال :

أيذهبُ يَوْمٌ واحدٌ، إن أسأتُه،
بصالحِ أيّامي وحُسنِ بلائيَا

ولمْ تُرَ منّي زَلّةٌ قبل هذه،
فِراري وتَركي صاحبَيّ ورائيا

•

وفرّ عمرو بن معْديكرب من عباس بن مرداس وأسر أخته رَيحانة ؛ وفيها يقول عمرو :

أمِن رَيْحانةَ الداعي السَّميعُ، يُؤرّقني وأصحابي هُجوعُ؟

وفرّ عن بَني عَبسٍ، وفيهم زُهيْرُ بنُ جَذيمة العَبْسي، وولده شأسُ بن زُهير، وقَيسُ بن زُهير، ومالكُ بن زهير، فقال فيهم :

أجاعلةٌ أمّ الثُّوَيرِ خَزايةً
عليّ فِراري، إذ لَقِيتُ بني عَبْسِ[2]

---

١ مرج راهط : بنواحي دمشق . يشير الى الموقعة التي كانت بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس الفهري وقتل فيها الضحاك .

٢ ام الثوير : امرأة عمرو بن معديكرب .

لَقِيتُ أبا شأسٍ وشأساً ومالكاً
وقيساً ، فجاشت من لِقائِهِمُ نفسي

لَقُونا ، فضَمُّوا جانبَيْنا بصادقٍ
من الطَّعنِ ، مثلِ النّارِ في الحطبِ اليبْسِ

ولمّا دخلنا تحتَ فَيْءِ رماحِهم ،
خَبَطتُ بكفّي أطلبُ الأرضَ باللّمسِ

وليسَ يُعابُ المَرءُ من جُبنِ يَوْمِه ،
إذا عُرِفَت منه الشَّجاعةُ بالأمسِ

وقال أيضاً :

ولقد أَجْمعُ رِجْلَيّ بها ، حَذَرَ الموتِ وإني لَفَرُورْ
ولقد أَعْطِفُها كارهةً ، حين للنَّفْسِ من المَوْتِ هَرِيرْ[1]
كُلُّ ما ذلك منّي خُلُقٌ وبكُلٍّ أنا في الرَّوْعِ جَدِيرْ[2]
وابنُ صُبْحٍ سادراً يُوعِدني ، ما له في الناس ما عشتُ بُجيرْ[3]

•

---

١ الهرير : الصياح.

٢ ما زائدة بعد كل .

٣ ابن صبح : اراد به المغير بالصبح ، يستهزىء به لانه يتشبه بالشجعان فيغير مثلهم في الصباح . السادر : الذي لا يبالي ما يصنع .

وقال الحارث[1] لامرأته ، وذلك أنها نظرت اليه وهو يحد حربةً يوم فتح مكة ، فقالت له : ما تصنع بهذه ؟

قال : أعددتها لمحمد وأصحابه .

فقالت : ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء ؟

قال : والله إني لأرجو أن أخدمَك بعضهم . ثم أنشأ يقول:

إن يُقْبِلوا اليومَ فما بي عِلّه هذا سِلاحٌ كامِلٌ وألَّه[2]

وذو غِرارين سريعُ السَّلَّه[3]

فلما لقيهم خالد بن الوليد يوم الخَندمة[4] انهزم الرجل، فلامته امرأته فقال :

إنكِ لو شَهِدْتِ يَوم الخَندمه، إذ فَرّ صَفْوان وفَرّ عِكرمه[5]

ولَحقَتْنا بالسُّيوف المُسْلِمه يَفْلقن كل ساعد وجُمجمه

ضَرْباً فلا تَسْمَعُ إلا غَمغمه لم تَنْطِقي في اللَّوم أدنى كَلِمه

•

---

١ هو الحارث بن هشام وقد تقدم خبر عن فراره .

٢ الألة : الحربة لها سنان طويل .

٣ ذو الغرارين : السيف .

٤ الخندمة : جبل .

٥ صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل .

وكان أسلم بن زُرْعة وجهه عبيد الله بن زياد لحرب أبي بلال الخارجي في ألفين ، وأبو بلال في أربعين رجلًا ، فشدوا عليه شدة رجلٍ واحد فانهزم هو وأصحابه ، فلما دخل على ابن زياد عنَّفه في ذلك وقال: أتمضي في ألفين وتنهزم عن أربعين! فخرج عنه وهو يقول : لأن يَذُمَّني ابنُ زيادٍ حيّاً ، خيرٌ من أن يمدحني ميتاً .

فقال شاعر الخوارج :

أألفا مؤمنٍ ؟ لستم كذاكُم، ولكنَّ الخوارجَ مُؤمنونا
هم الفِئَةُ القَليلةُ ، قد عَلمتم، على الفِئَة الكثيرةِ يُنصرونا

•

ومثل ذلك قول عبد الله بن مطيع بن الأسود العَدَويّ ، وكان فرّ يوم الحَرّة من جيش مُسلم بن عقبة ؛ فلما كان أيامَ حِصار الحَجّاج بمكة لعبد الله بن الزُّبير جعلَ يُقاتِلُ أهل الشام ويقول :

أنا الذي فَررتُ يوم الحَرّهْ، والشَّيخُ لا يَفِرُّ إلا مَرّه
فاليومَ أجزي فَرَّةً بكَرّه، لا بأسَ بالكَرّةِ بعدَ الفَرّه

فلم يزل يقاتل حتى قُتل .

•

وأحسنُ ما قيل في الفِرار كلّه ما قال قيس بن الخَطيم :

إذا ما فَرَرنا، كان أسوَا فِرارِنا
صُدودُ الخُدودِ، وازورارُ المناكبِ

أُجالِدُهم ، يومَ الحَديقةِ ، حاسِراً ،
كأنّ يدي بالسَّيف مِخراقُ لاعبِ[1]

•

وفرّ عُتَيبةُ بنُ الحارث بن شِهاب يومَ ثُبرة[2] عن ابنه حَزرةَ وقال :

ياحَسْرَتي، لقد لَقِيت حَسْره، يا لَتَميمٍ غَشِيَتْني غَمْره
نِعْمَ الفتى غادرتُه بثُبْره، نَجَّيتُ نفسي وتركتُ حَزْره
هل يَتْرُكُ الحرُّ الكريم بِكْرَه؟

•

وَفرّ ابو خِراش الهُذَليّ من فائد وأصحابه ورَصدوه بعَرفاتٍ فقال :

وَفَوْني ، وقالوا : يا خُوَيلدُ لا تُرَع!
فقلتُ ، وأنكرتُ الوجوهَ : هُمُ هُمُ

---

١ الحديقة : قرية على طريق مكة ، كانت بها وقعة بين الأوس والخزرج قبل الاسلام ، واياها أراد الشاعر. المخراق : منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، أو يلف فيفزع به .

٢ ثبرة : اسم ماء في وسط واد في ديار ضبة .

وقلتُ ، وقد جاوزتُ أصحاب فائد:
أأعجزتُ أولى الخَيْلِ أم أنا أحْلَم؟[1]

فلولا ادِّراكُ الشرِّ ، قامت حَلِيلتي
تَخيَّرُ من خُطّابها ، وهي أيِّم[2]

ولولا ادِّراكُ الشرِّ ، أتلفت مُهْجَتي،
وكاد خِراشٌ يومَ ذلك يُيْتَمُ

•

وفرّ خُبيب بن عوف يوم مَرداء هجر من أبي فُدَيك فقال:

بَذَلتُ لهم، يا قومِ ، حَوْلِي وقُوّتي،
ونُصْحي وما ضَمّت يَدَاي من النَّبْرِ

فلمّا تَناهى الأمرُ بي مِن عَدُوِّكم
الى مُهْجتي ، ولّيتُ أعداءكم ظَهْري

وطِرْتُ ولم أحْفِل مَلامةَ عاجز،
يُقيم لأطْرافِ الرُّدَينيّة السُّمْر[3]

---

١ يريد هل أعجزت أولى الخيل عن اللحاق بي وقتهم بفراري ، أم ان ذلك حلم من الاحلام ؟

٢ الايم : الارملة .

٣ الردينية : نسبة الى ردينة ، امرأة كانت تثقف الرماح .

فلو كان لي رُوحانِ، عَرّضتُ واحداً
لكل رُدَيْنيٍّ ، وأبيضَ ذي أثْر[1]

•

وقيل لرجل جبان في بعض الوقائع : تقدّم . فأنشأ يقول :

وقالوا تقَدَّمْ ! قُلتُ لستُ بفاعلٍ،
أخافُ على فَخّارتي أن تَحَطَّمَا

فلو كان لي رأسان ، أتلفتُ واحداً ،
ولكنّه رأسٌ ، إذا راح أعقما

ولو كان مُبتاعاً لدى السُّوق مثلُه،
فَعلتُ ، ولم أحْفِل بأن أتقدّمَا

فأوتِم أولاداً وأُرْمِل نِسْوةً؛
فكيف على هذا تَرَوْن التقدُّما ؟

•

وقالت هند بنتُ النعمان بن بشير لزوجها رَوح بن زِنْباع:
كيف سوّدك قومُك وأنت جبان غيور ؟

---

١ الاثر : فرند السيف وجوهره .

قال : أما الجبن ، فإن لي نفساً واحدة فأنا أحوطها ؛ وأما الغَيْرة ، فما أحق بها من كانت له امرأة حمقاء مثلك .

•

وقال كعب بن زهير :

بُخلًا علينا ، وجُبْناً من عَدوِّكمُ ،
لَبِئْست الخَلّتان: البُخلُ والجُبْنُ

•

فضائل الخيل

قال النبي صلى الله عليه وسلم في صفة الخيل : اعرافُها ادفاؤها ، وأذنابها مَذابّها ، والخيل معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : عليكم بإناث الخيل ، فإنّ بُطونها كنز ، وظهورها حِرز ، وأصحابها مُعانون عليها .

وسأل رجلٌ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : إني أريد أن أشتري فرساً أُعِدُّه في سبيل الله ؛ فقال له : اشترِه أدهم ، أو كُميتاً أقرح أرثم[1] ، أو مُحجّلاً مُطلق اليمين ، فإنها مَيامن الخيل .

•

وقيل لبعض الحكماء : أيّ الأموال أشرَفُ ؟ قال : فَرَس يَتبعها فرس في بطنها فرسٌ .

---

١ الأقرح ، من القرح : كل بياض كان في جبهة الفرس ثم انقطع قبل ان يبلغ الأنف . الأرثم ، من الرثم : كل بياض اصاب الشفة العليا قل أو كثر الى أن يبلغ الأنف .

صفة جياد الخيل

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحبُّ من الخيل الشُّقر .

وقال : لو جُمعتْ خيلُ العرب في صعيدٍ واحد ما سبقها إلا أشقرُ .

وسأله رجلٌ : أيّ المالِ خيرٌ ؟ قال : سِكَّة مأبورة[1] ، ومُهرةٌ مأمورة[2] .

وكان عليه الصلاة والسلام يكره الشِّكال[3] في الخيل .

وقالوا : إنما سُمِّيت خيلًا لاختيالها .

•

ووصف أعرابي فرساً فقال : إذا تركتَه نعَس ، وإذا حرَّكته طارَ .

•

وأرسل مُسلم بن عمرو لابن عم له بالشام يشتري له خيلًا ؛

---

١ السكة : الطريقة المصطفة من النخل . المأبورة : الملقحة .

٢ المأمورة : الكثيرة النسل والنتاج .

٣ الشكال : أن تكون ثلاث قوائم محجلة وواحدة مطلقة ، أو عكس ذلك .

فقال له : لا عِلم لي بالخيل .

فقال : ألست صاحب قَنَص ؟

قال : بلى .

قال : انظر كلَّ شيءٍ تستحسِنُه في الكلبِ فاطلبه في الفرس . فأتى بخيل لم يكن في العرب مثلُها .

•

وقال بعضُ الضّبيين :

مُتقاذف ، عَبل الشَّوى ، شَنِج النَّسا ،
سَبّاقِ أندية الجِياد ، عَمَيْثَلِ[1]

وإذا تَعلَّل بالسِّياطِ جِيادُها ،
أعطاكَ نائلَه ولم يَتعلَّلِ

•

سأل المهديُّ مَطرَ بن دَرّاجٍ عن أي الخيل أفضلُ ؟ قال : الذي إذا استقبلتَه قلتَ نافرٌ ، وإذا استدبرتَه قلتَ زاخر[2] ، وإذا استعرضتَه قلتَ زافر[3] .

---

١ المتقاذف : السريع الركض . عبل الشوى : غليظ القوائم . النسا : عرق من الورك الى الكعب . شنج النسا : متقبضه ، وهو مدح للفرس ، لأنه اذا شنج نساه لم تسترخ رجلاه . العميثل : النشيط .

٢ زاخر : ممتلىء الكفل .

٣ الزافر : عظيم الوسط ، وهو مما يمدح في الخيل .

قال : فأيُّ هذه أفضل ؟

قال : الذي طرفُه إمامه ، وسوطُه عِنانُه .

•

وقال آخر : الذي إذا مشى رَدَى[1] ، وإذا عَدا دَحا[2] ، وإذا استُقبِل أقعى[3] ، وإذا استُدبر جَبَّى[4] ، وإذا استُعرض استوى .

•

وقال عمرُ بن الخطاب لعمرو بن معديكرب : كيف معرفتك بعِرابِ الخيل ؟

قال : معرفة الإنسان بنفسه وأهله وولده .

فأمر بأفراس فعُرضت عليه ، فقال : قدّموا إليها الماءَ في التَّراسِ[5] ، فما شَرِب ولم يكتِف[6] فهو من العِراب ، وما ثنى سُنبكه فليس منها .

قلت : إنما المحفوظ أنّ عمرَ شكّ في العِتاق والهُجُن ، فدعا سَلمانَ بن ربيعة الباهلي فأخبره . فأمر سَلمان بطست

---

١ ردى : رجم الارض بين المشي الشديد والعدو .

٢ دحا : رمى بيديه في سيره لا يرفع طرف حافره عن الارض .

٣ اقعى : جلس على مؤخرته ، او ارتد القهقرى .

٤ جبى : انكب على وجهه .

٥ التراس ، واحدها ترس : وهو صفحة مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه .

٦ يكتف : يرفع فروع كتفه .

من ماء فوُضع بالأرض ، ثم قدَّم إليه الخيلَ فرساً فرساً ، فما ثنى سُنْبُكَه وشرب هبّتَه ؛ وما شرِبَ ولم يَثْنِ سنبكه عَرَّبه .

•

وقال حسّان بن ثابت يَصف طولَ عنق الفرس :

بكلّ كُميتٍ ، جَوزُه نِصفُ خَلقه ،
أقبّ طُوالٍ ، مُشرفٍ في الحوارِك[1]

•

وقال زُهير :

ومُلْجَمُنا ما إن يَنالَ قَذالُه ،
ولا قدماه الأرضَ ، إلاّ أناملُه[2]

•

وقال آخر :

له ساقا ظَليمٍ خاضبٍ ، فُوجِئ بالرُّعبِ[3]
حَديدُ الطَّرف والمنكِب والعُرْقوب والقَلب

•

---

١ الاقب : الدقيق الخصر الضامر البطن . الطوال : الطويل . الحوارك : أعالي الكاهل .

٢ القذال من الفرس : معقد العذار خلف الناصية .

٣ الظليم : ذكر النعام . الخاضب : المحمر الساقين .

وقال آخر :

هَريتٌ، قَصيرُ عِذَارِ اللِّجام، أَسِيلٌ، طَويلُ عِذَارِ الرَّسَن[1]

لم يُرد بقوله : قصير عذار اللجام ، قِصَرَ خدّه ، وإنما أراد طولَ شَقّ الفَم ؛ وأراد بطول عذار الرسن ، طولَ الخد .

•

وقال آخر :

بكلّ هَريتٍ ، نَقيّ الأديم ، طويل الحِزام، قَصير اللَّبَب[2]

•

وقال أبو عبيدة : يُستَدلُّ على عِتقِ الفرس برقّة جَحافله وأرْنبته[3]، وسَعة منْخريه، وعُرْي نواهقه[4]، ودِقّة حَقويه[5]، وما ظهر من أعالي أُذنيه ، ورقّة سالفتيه وأديمه ، ولين شعره ؛ وأَبْيَنُ من ذلك كله لين شَكيرِ[6] ناصيته وعُرفه .

•

---

١ الهريت : الواسع الشدقين ، الطويل شق الفم .

٢ لبب الفرس : منحره .

٣ الجحافل ، واحدتها جحفلة : الشفة . الارنبة : طرف الانف .

٤ اراد بالنواهق : الناهقين ، وهما العظمان الشاخصان في مجرى الدمع .

٥ الحقوان : الخصران .

٦ الشكير : ما أطاف بالناصية من قصير الشعر .

وكانوا يقولون : إذا اشتدَّ نَفَسُه ، ورَحُبَ مُتَنَفَّسه ، وطال عُنقه ، واشتد حَقوه ، وانهرت شِدْقُه ، وعَظُمت فُصوصه[1] ، وصَلُبت حوافره ووفُحَت ، أُلحِق بجياد الخيل .

•

قيلَ لرجل من بني أسد: أتعرِفُ الفرسَ الكريم من المُقرف؟

قال : نعم ، أما الكريمُ : فالجوادُ الجيّد الذي نَهز نَهزَ العَير[2] ، وأنَّف[3] تأنيفَ السَّير ، الذي إذا عدا اسلهبّ[4] ، وإذا أقبل اجلعبّ[5] ، واذا انتصب اتلأبّ[6] .

وأما المُقرفُ : فإنه الذَّلول الحَجبة[7] ، الضخم الأرنبة ، الغليظ الرقبة ، الكثير الجلبة ، الذي إذا أرسلته قال: أمسِكني ، وإذا أمسكته قال : أرسلني .

•

---

١ الفصوص ، واحدها فص : ملتقى كل عظمين .

٢ نهز : نهض بصدره للسير . العير : حمار الوحش .

٣ أنف الشيء : حدد طرفه ، والمراد ان خلقه سوي كتسوية السير المحدد في قده من الجلد .

٤ اسلهب : مضى

٥ اجلعب : امتد على الأرض .

٦ اتلأب : رفع صدره ورأسه .

٧ الحجبة : ما أشرف على صفاق البطن من وركيه .

وكان محمد بن السائب الكلبي يحدّث : أن الصافنات الجياد المعروضة على سليمان بن داود عليهما السلام ، كانت ألفَ فرسٍ ورثها عن أبيـــه ، فلما عرضت عليه ألهته عن صلاة العصر حتى توارت الشمس بالحجاب ، فعرْقبها[1] الا أفراســاً لم تُعرض عليه .

فوفد عليه أقوامٌ من الأزْدِ وكانوا أصهاره ، فلمـا فرَغوا من حوائجهم قالوا : يا نبيَّ الله ، انّ أرضنا شاسعـةٌ فزوّدنا زاداً يبلّغنا .

فأعطاهم فرساً من تلك الخيل وقال: إذا نزلتم منزلاً فاحملوا عليه غلاماً واحتطبوا ، فانكم لا تورُون ناركم حتى يأتيكم بطعامكم .

فساروا بالفرس ، فكانوا لا ينزلون منزلاً الا رَكبه أحدهم للقَنص ، فلا يُفلته شيءٌ وقعت عينه عليه من ظَبْيٍ أو بقـر أو حِمار ، الى أن قدموا إلى بلادهم ، فقالوا : مـا فرسُنا الا زادُ الراكبِ . فسمّوْه زادَ الراكب . فأصلُ فحولِ العرب من نِتاجه .

•

---

١ عرقبها : قطع عراقيبها ، واحدها عرقوب وهو عصب غليظ فوق العقب .

وأخبرنا فرج بن سلاّم عن أبي حاتم عن الأصمعي قال: أُغير على أهل النّسار[1] وأعوجُ موثَق بثُمامة[2]، فجال صاحبه في مَتنه، ثم زجَره فاقتلع الثمامة، فخرجت تحفُ كالخُذروف[3] وراءه. فغدا بياضَ يومه وأمسى يتعشى من جميم قُباء[4].

•

وقال الشاعر في وصف فرس:

وأحمرَ كالدّيباجِ، أما سماؤُه فرَيّا، وأما أرضُه فمَحُولُ

قوله: سماؤه: أعلاه؛ وأرضه: أسفله. يريد قوائمه.

•

وللطائي نظيرُ هذا حيثُ يقول:

مُبتّلُ مَتْنٍ وصَهوتين الى حَوافِرِ صُلبةٍ له، مُلسِ

فهو لدى الرّوع والحَلائب ذو أعلى مُنَدّى، وأسفلٍ يَبَسِ[5]

---

١ النسار: ماء لبني عامر له يوم.

٢ اعوج: فرس كان لهلال بن عامر، وهو من جياد الخيل. وقوله بثمامة: أي بشجيرة من شجيرات الثمام المعروف.

٣ تحف: تصوت. الخذروف: صفيحة مستديرة تثقب من وسطها ثقبين يدخل فيهما خيط يمسك باليدين وتدار بهما، فيسمع لها دوي.

٤ الجميم: النبات الكثير. قباء: بئر سميت باسمها قرية على ميلين من المدينة.

٥ يريد انه ريان الأعلى ظمآن الأسفل.

صَهْصَلَقٌ في الصَّهيل، تَحْسبه اشْرِج حُلقومُه على جَرَسِ [1]

وقال حبيب أيضاً يصف فرساً أهـــداه إليه الحَسن بن وَهْب الكاتب :

ما مُقرَبٌ يَختالُ في أشْطانِه، ملآنَ من صَلفٍ به وتَلَهْوُقِ [2]

بحَوافرٍ حُفْرٍ، وصُلبٍ صُلَّب، وأشاعرٍ شُعْرٍ، وحلْقٍ أحلقِ [3]

وبشُعلةٍ تبدو، كأنَّ حُلولَها في صَهْوتيه بُدوُّ شَيبِ المَفرقِ [4]

ذو أولقٍ تحت العَجاج، وإنما من صِحَّةٍ، إفراطُ ذاكَ الأولقِ [5]

تُغرى العيونُ به ويُفلِق شاعرٌ في نَعته عَفواً، وليس بمُفلِقِ [6]

بمُصَعَّدٍ، من حُسنه، ومصوَّبٍ، ومجمَّعٍ، في خَلقه، ومُفَرَّقِ [7]

---

١ الصهصلق : الشديد الصهيل . أشرج : خيط .

٢ الأشطان : الحبال ، الواحد شطن . التلهوق : المبالغة في العجب والاختيال .

٣ الحفر : القوية تحفر الارض من صلابتها . الصلب : الظهر . الصلب : القوي . الأشاعر : ما استدار بالحافر من منتهى الجلد . شعر : شديدة . أحلق : واسع .

٤ الشعلة : البياض .

٥ الاولق : الجنون . يريد وصفه بشدة النشاط .

٦ يفلق : يجيء بما يعجب . المراد : ان هذا الفرس يجيـــد في وصفه من ليس بمجيد من الشعراء لانه ينظر الى ما يروق ويعجب منه .

٧ مصعده : أعلاه . مصوبه : أسفله . مجمعه : وسطه . مفرقه : قوائمه وأذناه . يريد انه جمعت فيه اشياء يحمد اجتماعها وافترقت اشياء يحمد افتراقها .

قدسالت الأوضاحُ سيلَ قَرارة ... فيه ، فمُفترِقٌ عليه ومُلتَقي [1]

صافي الأديمِ ، كأنما ألبستَه ... من سُندس ثوباً ، ومن إستبرقِ [2]

مسوَدُّ شطرٍ مثلما اسودَّ الدجى ، ... مُبيضُّ شطرٍ كابيضاض المُهرقِ [3]

فكأنَّ فارسَه يُصرِّفُ ، إذ بدا ... في مَتْنه ، ابناً للصباح الأبلق [4]

إمليسةٌ ، إمليدةٌ ، لو عُلِّقت ... في صَهْوتيه العَينُ لم تتَعلّقِ [5]

يُرقى وما هو بالسليم ، ويغتدي ، ... دون السلاح ، سلاح أروع مملِقِ [6]

•

وقال أبو سُويد : شَهِد أبو دُلَف وقعةَ البَذّ [7] وتحتَه فرسٌ أدهمُ ، وعليه نَضْحُ الدمِ ، فاستوقَفه رجلٌ من الشعراء [8] ، وأنشد :

---

١ الاوضاح ، واحدها وضح : البياض .

٢ السندس : ضرب من نسيج الديباج او الحرير . الاستبرق : الديباج الغليظ .

٣ المهرق : ثوب حرير أبيض . يقول ان شعره شطران ابيض واسود .

٤ الابلق : ما كان في لونه سواد وبياض .

٥ امليسة امليدة : لين ناعم . واراد بالعين : العين المالحة التي يعتقد بانها تصيب الناس .

٦ يرقى : من الرقية . السليم : الذي قد لدغ . الاروع : الشجاع . المملق : الذي لا سلاح له .

٧ البذ : كورة بين أذربيجان وأران ، خرج فيها بابك الخرمي في ايام المعتصم .

٨ هو اسحاق بن خلف البهراني .

كم ذا تُجرّعُـه المَنونَ ويَسْلمُ ،
لو يستطيعُ شكا إليـــك الأدهمُ

في كلّ مَنبِتِ شَعرةٍ ، من جلدِهِ ،
نَمَقٌ يُنَمّقُه الحُسام المِخذَمُ[1]

وكأنما عَقَـــدَ النجومَ بطَرفِه ،
وكأنـه بعُرى المَجرّةِ مُلجَـمُ[2]

وكأنه ، بـينَ البَوارق ، لَقْوةٌ
سَقراء ، كاسرةٌ ، طَوَتْ ما تَطْعَمُ[3]

ما تُدرِكُ الأرواحُ أدنى سَيْرِه ،
لا بـل يَفوتُ الريحَ ، فهو مُقدّمُ

رَجَعَتْه أطرافُ الأسنّةِ أشقراً ،
واللونُ أدهمُ ، حينَ ضَرّجه الدّمُ

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم .

•

---

١ ينمقه : يزينه . المخذم : القاطع .
٢ يريد انه مرتفع الرأس لا يخفضه .
٣ البوارق : السيوف . اللقوة : انثى العقاب .

ومن قولنا في وصف الفرس :

ومُقْرَبةٍ يَشْقَرٌ في النَّقْع كَمْتُها ،
ويَخْضَرُّ حيناً ، كلما بلّها الرَّشْح[1]

تَطيرُ بلا ريش إلى كلّ صَيْحة ،
وتَسْبَحُ في البَرّ الذي ما به سَبْحُ

•

وقال عديُّ بن الرِّقاع :

يَخْرُجنَ من فُرُجاتِ النَّقعِ دامية ،
كأنَّ آذانَها أطرافُ أقلامِ

•

وطلب البُحتريّ الشاعرُ من محمد بن حُميد الكاتب فرساً ووصفَ له أنواعاً من الخيلِ في شعرهِ فقال :

لأكلَّفَنَّ العِيسَ أبعدَ هِمّةٍ
يَجري إليها خائفٌ ، أو مُرتَجي

وإلى سَراةِ بني حُمَيدٍ ، إنهم
أمْسوا كواكبَ أشرَفت في مَذْحِجِ

---

١ المقربة من الأفراس : التي تدنى وتقرب وتكرم . كمتها ، من الكمتة : الحمرة يخالطها سواد .

والبيتُ ، لولا أنّ فيـــه فضيلةً
تعلو البُيوتَ بفضْلها ، لم يُحجَجِ

فأعِنْ على غزْوِ العدوّ بمُنْطوٍ
أحْشاؤه ، طَيَّ الرِّداء المُدْرَجِ[1]

إمّـا بأشقَرَ ساطعٍ ، أغشى الوغى
منـــه بمثْلِ الكَوكب المُتأجِّجِ

مُتَسربلٍ شِيَـةً ، طَلَتْ أعطافَه
بدَمٍ ، فما تَلْقاه غيرَ مُضَرَّجِ

أو أدهمٍ ، صافي الأديم ، كأنّـــه ،
تحتَ الكَمِيِّ ، مُظَهَّرٌ بِيَرَندج[2]

ضَرِمٍ ، يَهيجُ السَّوطُ ، من سُؤْبوبِه ،
هَيْجَ الجَنائب مِن حَريقِ العَرْفج[3]

خَفَّتْ مواقعُ وَطْئِه ، فلو انّـــه
يَجري برَمْلةِ عـالجٍ لم يُرْهِج[4]

---

١ المدرج : المدخل بعضه في بعض .

٢ المظهر : الملبس الظهارة ، وهي ما يوضع على الظهر . اليرندج : السواد يسود به الخف .

٣ السؤبوب : شدة العدو . الجنائب ، واحدها جنوب : الريح التي تقابل الشمال. العرفج : ضرب من النبات سهلي طيب الريح ولهبه شديد الحمرة .

٤ عالج : رمال بين فيد والقريات . لم يرهج : أي لم يثر الغبار من خفة وطئه .

أو أشهبٍ يَقَقٍ ، يُضيء وراءَه
مَتْنٌ ، كمتن اللُّجَّةِ المُتَرَجْرِج[1]

تَخْفَى الحُجولُ ، ولو بَلَغْنَ لَبانَه ،
في أبْيَضٍ مُتألِّقٍ كالدُّمْلج[2]

أوفى بعُرْفٍ أسودٍ مُتَفَرِّدٍ ،
فيما يَليه ، وحافرٍ فَيْروزَجي[3]

أو أبلقٍ مَلأ العيونَ ، إذا بدا ،
من كلِّ لَوْنٍ مُعجِبٍ بنموذجِ

جَذْلانَ تَحْسُده الجيادُ ، إذا مَشى
عَنَقاً بأحْسن حُلَّة لم تُنْسجِ[4]

وعَريضِ أعلى المَتْنِ لو عَلَّيْتَه
بالزَّئْبقِ المُنهال لم يَتَرَجرَج

خاضت قوائمُهُ ، الوثيقُ بِناؤها ،
أمواجَ تَحْنيبٍ بهنَّ مُدَرَّجِ[5]

---

١ اليقق : الابيض .
٢ اللبان : الصدر . الدملج : حلي يلبس في المعصم .
٣ فيروزجي : نسبة الى الفيروزج وهو حجر كريم اخضر .
٤ العنق : ضرب من السير سريع .
٥ التحنيب : احديداب في وظيفي يدي الفرس ، وهو دليل على شدة صاحبه .

ولأنتَ أبعدُ في السَّماحةِ همَّةً
مِنْ أن تَضِنَّ بمُوكَفٍ، أو مُسْرَجِ[1]

•

وأول من شبَّه الخيلَ بالظبي والسِّرحان والنعامة، وتَبِعه الشعراء وحَذَوا حذْوَهُ وعلى مثاله، امرؤُ القيس بن حُجْر:

له أيْطلا ظَبْيٍ وساقا نعامةٍ،
وإرخاء سِرْحانٍ وتَقْريبُ تَتْفُلِ[2]

كأنَّ على المَتْنَينِ منه، إذا انتَحَى،
مَداكَ عَروسٍ، أو صَلايةَ حَنْظَلِ[3]

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً،
كجُلْمودِ صَخْرٍ حطَّه السيلُ من عَلِ

دَرِيرٍ كخُذْروفِ الوليـــدِ، أمرَّه
تتابعُ كفَّيْـه بخَيْطٍ مُوَصَّلِ[4]

---

١ الموكف: الذي وضع عليه الوكاف، وهو البرذعة. المسرج: ما وضع على ظهره سرج.

٢ الايطل: الخاصرة. الارخاء: شدة العدو. التقريب: ان يرفع الفرس يديه معاً ويضعهما معاً في عدوه. السرحان: الذئب. التتفل: ولد الثعلب.

٣ المتنان: ما اكتنفا فقار الظهر. انتحى: اعتمد وقصد. المداك: الحجر الذي يسحق عليه الطيب. الصلاية: الحجر الاملس الذي يسحق عليه حب الحنظل.

٤ الدرير: الفرس السريع العدو.

كُمَيتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عن حالِ متنِه ،
كما زَلَّتِ الصَّفْواءُ بالمتنزَّلِ [1]

فأخذتِ الشعراء هذا التشبيه من امرىء القيس فَحَذَوا عليه ، فقال طُفَيل الخَيْل :

إنّي ، وإن قَلَّ مالي ، لا يُفارقني
مثلُ النّعامةِ في أوصالِها طُولُ

تَقْريبُها المَرَطَى ، والجَوز مُعْتدِل ،
كأنه سَبَدٌ بالماءِ مَغسولُ [2]

أو ساهِمُ الوَجْهِ لم تُقطع أباجِلُه ،
يُصانُ ، وهو ليومِ الرَّوع مبذولُ [3]

•

وقال عبدُ الملك بن مَروان لأصحابه : أيّ المَناديل أفضل ؟ فقال بعضُهم : مَناديلُ مِصر التي كأنها غِرْقىء البَيض [4] ؛

---

١ الكميت : ما خالط حمرته سواد . الحال : وسط الظهر . الصفواء : الصخرة الملساء التي لا ينبت فيها شيء . المتنزل : الذي ينزل عليها فيزلق عنها .

٢ المرطى : فوق التقريب . الجوز : الوسط . السبد : ثوب يسد به الحوض المركول لئلا يتكدر الماء يفرش فيه وتسقى الابل عليه .

٣ ساهم الوجه : عابسه ، وهي صفة ممدوحة في الخيل . الأباجل ، واحدها أبجل : عرق غليظ في الرجل ، وهو في الفرس بمنزلة الاكحل من الانسان .

٤ غرقىء البيضة : القشرة الملتصقة ببياضها .

وقال بعضُهم : مَناديلُ اليَمن التي كأنها أنوارُ الربيع .

فقال : ما صنعتم شيئاً ، أفضلُ المناديلِ مناديلُ عَبدة بن الطّبيب حيث يقول :

لمّا نَزلنا ضَربنا ظِلّ أخبيةٍ ،
وفارَ باللّحْمِ للقومِ المَراجيلُ[1]

وَرْداً وأشْقرَ لم يُنْهِئْه طابخُه ،
ما قارَبَ النُّضْجَ منها فهو مأكولُ[2]

وقد وَثَبْنا على عُوجٍ مُسوَّمةٍ ،
أعرافُهنّ لأيدينا مَناديلُ[3]

•

---

١ يريد أنهم بنوا أرديتهم فوق رماحهم كما تبنى الاخبية ليستظلوا بها .

٢ الورد : ما أخذ فيه النضج من اللحم . الاشقر : ما لم ينضج . لم ينهئه : لم ينضجه .

٣ المسومة : المعلمة .

سوابق الخيل

قال الأصمعي : ما سَبَقَ في الرهانِ فرسٌ أهضم[1] قط . وأنشد لأبي النَّجم :

مُنتفِجُ الجَوفِ عَريضٌ كَلْكَلُه[2]

قال : وكان هشام بن عبد الملك رجلًا مُسَبَّقاً لا يكاد يَسْبِقُ ، فسَبقت له فرس أُنثى وَصلَت أختها[3] ، ففرِح لذلك فرحاً شديداً وقال : عليَّ بالشعراء .

قال أبو النَّجم : فدُعِينا فقيل لنا : قولوا في هذه الفرس وأختها ؛ فسأل أصحابُ النشيد النَّظِرة حتى يقولوا ؛ فقلت له : هل لك في رجل يَنقُدُك اذا استنسأوك[4] ؟

قال : هاتِ .

فقلتُ من ساعتي :

---

١ الاهضم من الخيل : ما استقامت ضلوعه وانضمت اعالي بطنـــه مع استقامتها ودخول اعاليها ، وهو من عيوب الخيل .

٢ المنتفج : المنتفخ من خلقة وسمن .

٣ صلت اختها : جاءت تالية للسابق .

٤ استنسأ : طلب التأخير .

أشاعَ للغرّاءِ فينا ذِكرَها فوائمٌ عُوجٌ، أطعنَ أمرَها

وما نَسِينا بالطريقِ مُهرَها، حين نَقِيسُ قدرَه وقدرَها

وصَبرَه، إذا عدا، وصَبرَها، والماءُ يعلو نحرَه ونَحرَها

مَلمومةٌ شَدَّ المليكُ أسرها، أسفلَها وبطنَها وظهرَها[1]

قد كاد هاديها يكونُ شَطرَها[2]

قال أبو النّجم : فأمر لي بجائزة وانصرفت .

•

أبو القاسم جعفرُ بن أحمد بن محمد وأبو الحسن عليّ بن جعفر البصري قالا : حدّثنا أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيب الأصمعيّ : أن هارونَ الرشيد رَكِب في سنة خمسٍ وثمانين ومائة الى المَيْدان لشهودِ الحَلْبة .

قال الأصمعي : فدخلتُ الميدانَ لشُهودِها فيمن شَهِد من خواصّ أمير المؤمنين ، والحَلبةُ يومئذ أفراسٌ للرّشيدِ ولوَلديه الأمينِ والمأمون ولسُليمانَ بنِ أبي جعفرٍ المنصور ولعيسى بنِ جعفر ؛ فجاء فرسٌ أدهمُ يقال له الرَّبِيد لهارون الرشيد سابقاً .

---

١ الملمومة : المجتمعة الخلق . الاسر : شدة الخلق .

٢ الهادي : العنق . وقوله : يكون شطرها ، كناية عن طوله .

فابتهج لذلك ابتهاجاً عُلِم ذلك في وجهه ، وقال : عليّ بالأصمعي ؛ فنُوديتُ له من كل جانب ، فأقبلتُ سريعاً حتى مَثَلْتُ بين يديه ؛ فقال : يا أصمعي ، خُذ بناصيةِ الرَّبِد ثم صِفْه من قَوْنَسه الى سُنبُكه[1] ، فإنه يقال : إن فيه عشرين اسماً من أسماء الطَّير .

قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، وأُنشِدُك شِعراً جامعاً لها من قول أبي حَزْرة[2] .

قال : فأنشِدْنا لله أبوك .

قال : فأنشدته :

وأقبّ كالسِّرحانِ تمّ لهَ ما بين هامتِه الى النَّسْرِ

الأقبّ : اللاحق المُخطَف البَطْن[3] ، وذلك يكون من خِلْقة ، وربما حدثَ من هُزال أو بُعْد قَوَد[4] ؛ والأنثى قَبّاء ؛ والجمع : قُبّ ؛ والمصدر : القَبَب . والسِّرحان : الذِّئب ، سُمّيه في ضُموره وعَدْوه به ؛ وجمعه سَراحين ؛ وقد قالوا :

---

١ أي من أعلى رأسه الى طرف حافره .

٢ كنية جرير بن عطية الخَطفى ، الشاعر المشهور .

٣ مخطف البطن : منطويه .

٤ القود : طول الظهر والعنق .

سِراح[1] . والهامة : أعلى الرأس ، وهي أُم الدِّماغ ؛ وهي من أسماء الطير . والنَّسر : هو ما ارتفع من بطن الحافر من أعلاه ، كأنه النَّوى والحصى ، وهو من أسماء الطير ؛ وجمعه : نُسور .

رَحُبَتْ نَعامتُهُ ، ووُفَّر فَرْخُه ،
وتمكَّن الصُّرَدانِ في النَّحْرِ

رحُبَتْ : اتسعت . ونَعامته : جلدة رأسه التي تُغطّي الدِّماغ ، وهي من اسماء الطير . وقوله : « ووُفَّر فرخه . » الفرخ : هو الدماغ ، وهو من أسماء الطيور . ووُفَّر : اي تُمّم ؛ يقال : وَفَّرتُ الشيء ووَفَرته ، بالتخفيف ، فهو مَوفور . والصُّرَدان : عِرْقان في أصلِ اللسان ؛ ويقال : إنهما عرقان أخضران مُكْتنفان باطن اللسان ، يجري منهما الرِّيق ونَفَسُ الرئة ، وهما من أسماء الطير . وفي الظهر صُرَد ، أيضاً ، وهو بياض يكون في موضع السَّرْج من أثر الدَّبَر[2] ؛ يقال : فرس صَرِد ، إذا كان ذلك به . والنحرُ : موضعُ القِلادة من الصدر ، وهو البَرْك .

---

١ سراح ، بفتح السين وكسرها .

٢ الدبر ، واحدتها دبرة : قرحة الدابة .

وأنافَ بالعُصفور من سَعَفٍ هامٍ ، أشمُّ ، موثّقُ الجِذْر

أناف : أشرف . والعُصفور : أصل مَنْبِت الناصية ؛ والعُصفور ايضاً : عظم ناتىءٌ في كلّ جبين . والعُصفور : من الغُرَر أيضاً ، وهي التي سالت ودقّت ولم تتجاوز الى العينين ولم تستدِر كالقُرحة ؛ وهو من أسماء الطير . والسَّعَف ، يقال : فرسٌ بَيّنُ السعَف ، وهو الذي سالت ناصيتُه . وهامٍ ، أي سائل منتشر . وأشمّ : مرتفع ؛ والشَّمم في الأنف : ارتفاع قَصَبته . ويروى : هادٍ أشم ، يريد عُنقاً مرتفعاً ؛ وجمعُه : هوادٍ . وقولهُ : موثّق ، أي شديد قويّ . والجِذْر : الأصلُ من كل شيء . قال الأصمعي وغيره : هو بالفتح ؛ وقال أبو عمرو بن العلاء : هو بالكسر .

وازدانَ بالدّيكينِ صَلْصَلُه ، ونَبَتْ دَجاجتهُ عن الصَّدرِ

ازدان : افتعل ، من قولِكَ زانَ يزينُ ، وكان الأصل ازتان ، فقُلبت التاء دالاً ، لقربِ مَخرجِها من مخرج الزاي ، وكذلك ازداد ، من زادَ يزيدُ . والديكان : واحدهما ديك ، وهو العَظم الناتىء خلفَ الأذن ، وهو الذي يقال له الخُشَشاء ، والخُشّاء . والصَّلصل : بياض في طرف الناصية ؛ ويقال : هو أصلُ الناصية . والدَّجاجة : اللحم الذي على زَوْره بين يديه ، والدّيك والصَّلْصل والدَّجاجة : من أسماء الطير .

والنّاهِضان أُمِرَّ جَلزُهُما ، فكأنما عُثِما على كَسْرِ

النّاهِضان : واحدهما ناهض ، وهو لحم المنكِبَين ؛ ويقال : هو اللحمُ الذي يلي العَضُدَين من أعلاهما ؛ والجمع : نواهض ؛ ويقال في الجمع : أنْهُض ، على غير قياس . والناهض : فرخُ القطا ، وهو من أسماء الطير . وقوله : أُمِرَّ جَلزُهُما : أي فُتِلَ وأُحْكِم ؛ يقال : أمررتُ الحبلَ فهو مُمَرّ ، أي فَتلته . والجَلْز : الشد . وقوله :

فكأنما عُثِما على كَسْرِ

أي كأنهما كُسِرا ثم جُبِرا ؛ يقال : عُثِمَت يدُه . والعَثْم : الجَبْر على عُقْدة وعَوَج ؛ وعُثمان : فُعلان منه .

مُسْحَنفِرُ الجَنْبَين ، مُلتئِمٌ ما بين شِيمتِه الى الغُرِّ

مُسحَنفِرُ الجنبين : أي مُنتفِخُهما . مُلتئم : أي معتدل . وشِيمته : نَحْره . والشّيمةُ ايضاً : من قولك : فرسٌ أشيمُ ، بيّن الشّيمة ، وهي بياض فيه ؛ ويقال : أن تكونَ شامةٌ أو شامٌ في جسده . والغُرُّ في الطير ، الذي يسمّى الرَّخَمة ، وهي عضَلةُ الساق .

وَصَفتْ سُماناه وحافِرُه وأديمُه ومَنابتُ الشَّعْرِ

السُّماني : طائر ، وهو موضع من الفرسِ لا أحفظه ، إلاّ

أن يكون أراد السَّمامة ، وهي دائرة تكون في سالفة الفَرس ، وهي عُنقه ، والسَّمامة ، من الطير أيضاً . والأديم : الجلد .

وسَما الغُراب لِمَوْقعَيه معاً ، فأبِين بينهما على قَدْرِ

سَما الغُراب : أي ارتفَع ؛ والغُراب : رأسُ الوَرِك ؛ ويقال للصَّلَوين : الغُرابان ، وهما مُكْتَنَفا عَجْبِ الذنَب[1] ؛ ويقال : هما مُلتقى أعالي الوَرِكين . والموقعان منه : في أعالي الحاصرتين . فأبين : أي فُرّق بينهما . على قدر : اي على استواء واعتدال .

واكتنّ دونَ قبيحِه خُطّافُه ، ونأت سَمامته عن الصَّقْر

اكتنّ : أي استتر . والقبيح : ملتقى الساقين ؛ ويقال : إنه مركَّب الذراعين في العضُدَين . والخُطّاف : من أسماء الطير ، وهو حيثُ أدركَتْ عَقِبُ الفارس إذا حرّك رجليه ؛ ويقال لهذين الموضِعين من الفرس : المَركلان . ونأتْ : اي بعُدت . والسَّمامة : دائرةٌ تكون في عُنق الفرس ، وقد ذكرناها ، وهي من أسماء الطير . والصقر : أحسبها دائرةً في الرأس ، وما وقَفت عليها ، وهي من أسماء الطير .

---

١ عجب الذنب : أصله ، وهو العصعص .

وتقدَّمت عنه القَطاةُ له ، فنأتْ بمَوْقِعِها عن الحُرِّ

القَطاة : مَقْعَد الرِّدف ، وهي من أسماء الطير . والحُرّ : من الطير ؛ يقال إنه ذكرُ الحمام ، وهو من الفرس ، سوادٌ يكون في ظاهر أُذنيه .

وسَما على نَقْوَيْه دون حِداته ، خَرَبانِ بينهما مَدى الشِّبْرِ

النَّقْوان : واحدهما نَقْو ، والجمع : أنقاء ، وهو عظمٌ ذو مُخ ، وإنما عَنى هاهنا عِظام الوَرِكين ، لأن الخَرَب هو الذي تراه مثل المُدْهُن في وَرِك الفرس . وهو من الطير ، ذَكَرُ الحُبارى . والحِدَأة : من الطير ، وأصله الهمز ، ولكنه خُفِّف ، وهي سالفةُ الفرس ؛ وجمعها حِداء ، على وزن فِعال ، كما تقول : عَظاءة[1] وعِظاء ، ويقال : عَظاية . وإذا فتحتَ الفاء قلت : حَدأة ، وهي الفأس ذات الرأسين ؛ وجمعها حَدأ ، مثل نَواة ونَوى ، وقَطاة وقَطا .

يَدعُ الرَّضيمَ ، إذا جرى ، فِلَقاً ، بتَوائمٍ كمَواسمٍ سُمْرِ

الرَّضِيم : الحِجارة . والفِلَق : المكسورة فِلَقاً . بتوائم : جمع توأم ؛ وقد قالوا : تُؤام على وزن فُعال ، جمع تَوأم ، وهي على غير قياس . يقول : هي مَتْنى مَتْنى ، يعني حوافره .

---

١ العظاءة : دويبة ملساء اصغر من الحرذون تمشي مشياً سريعاً ثم تقف ، وهي عند العامة « السقاية » .

والمواسم : جمع مِيسم الحديد، من وسمتُ، أي أنها كمواسم الحديد في صلابتِها . وقوله سمر : أي لون الحافر، وهو أصلبُ الحوافر .

رُكّبْن في مَحْصِ الشَّوى سَبِطٍ،
كَفَتِ الوثُوبِ مُشَدَّدِ الأَسْرِ

الشَّوى هاهنا : القوائم ، والواحدة : شَواة؛ ويقال : فرس مَحْصُ الشَّوى ، إذا كانت قوائمُه مَعصوبةً . سَبِط : سهل. كَفَتْ الوثوب : اي مجتمع ، من قولك: كَفَتُّ الشيء، إذا جمعته وتمّمته . مشدَّدُ الأسر : اي الخَلق .

قال الأصمعيّ : فأمر لي بعشرة آلاف درهم .

•

وقال أبو النَّجْم يصفُ الحَلْبة :

ثمّ سَمِعنا بِرِهانٍ نأملُه، قِيدَ له من كل أُفْقٍ جَحْفلُه[1]

فقلتُ للسائسِ : قُدْهُ أعْجِلُه، واغْدُ لَعَنّا في الرِّهان نُرسِلُه[2]

فظَلّ مَجْنوباً،وظَلّ جَملُه، بين شَعيبَينِ وزادٍ ،يزمُلُه[3]

---

١ الجحفل : الجيش الكثير .

٢ لعنا : لغة في لعلنا .

٣ مجنوباً : لا يركب . وجمله يزمله : أي يحمل الزاد والعلف . شعيبين : مزادتين .

نَعْلو به الحَزْنَ ولا نُسَهِّلُه، إذا علا الأخْشَبَ صاح جَنْدَلُه[1]

تَرَنُّم النَّوْح تبكي مُثْكِلُه كأنّ في الصوت الذي يُفَصِّلُه[2]

زُمّارَ دُفٍّ يتغنّى جُلْجُلُه، حتى وردنا المِصْرَ يُطْوى قَنْبَلُه[3]

طَيُّ التِّجار العَصْبَ إذ تنخّلُه، وقد رأينا فِعْلَهم فَنَفْعَلُه[4]

نَطْوِيه والطَّيُّ الرَّقيق يَجْدِلُه، نضَمِّر الشَّحمَ، ولسْنا نَهْزِلُه[5]

حتى إذا الليلُ تولّى أثْجَلُه، وأتبعَ الأيديَ منه أرجلُه[6]

قُمْنا، على هَوْلٍ شَديدٍ وَجلُه، نَمُدّ حَبْلًا فوق خطٍّ نعْدِلُه[7]

نقولُ قَدِّم ذا وهذا أدخِلُه، وقام مَشْقوقُ القَميص يُعْجِلُه

---

١ لا نسهله : لا نصير به الى السهل . الجندل : الحجارة ، يشير الى صوت حوافره عليها .

٢ النوح : الجماعة من النساء تنوح . المثكل : التي ثكلت ولدها .

٣ الجلجل : الجرس . القنبل : الطائفة من الخيل . اي اننا وردنا المصر وفيه جماعات الخيل تضمر للرهان .

٤ العصب : ضرب من البرود . تنخله : تختاره .

٥ يجدله : يحكم فتل عضلاته ويحسن طيها .

٦ الاثجل : القطعة الضخمة من الليل . أتبع : تبع . شبه تولي الليل بالفرس في عدوه .

٧ يريد الحبل الذي ينصب قبل ارسال الخيل ويجعل في صدورها لتكون متساوية عند الارسال .

فوق الخُماسيّ قليلاً يَفْضُله ، أدْرَكَ عقلاً والرّهانُ عَمَله[1]

حتى إذا أدركَ خيلاً مُرسِلُه ، ثارَ عجاجٌ مُسْتَطيرٌ قَسْطَله[2]

تنْفُشُ منه الخيلُ مالاً تَغْزِله ، مَرّاً يُغَطّيها ، ومَرّاً تُنْعَله[3]

مَرّ القَطا انصبّ عليه أجْدَله ، وهو رَخِيّ البال ساجٍ وَهْلَه[4]

قَدّمه مِثْلاً لمن يَمْتَثله ، تُطيره الجِنُّ ، وحِيناً تُرجِله[5]

تَسْبَحُ أُخراهُ ، ويَطْفو أوّله ، ترى الغُلام ساجِياً ما يَرْكُله

يُعطيه ما شاء ، وليس يَسأله ، كأنّه من زَبَدٍ يُسَرْبَله[6]

في كُرسُفِ النّدّافِ لولا بَلله ، تَخالُ مِسْكاً عَلّه مُعَلّله[7]

ثم تَناوَلنا الغُلامَ نُنْزِله ، عن مُفْرَعِ الكتفين حُلوٌ عَطَله[8]

•

---

١ الخماسي : ما كان طوله خمسة أشبار.

٢ القسطل : الغبار الساطع .

٣ تنعله : أي تجعل الغبار تحت ارجلها كالنعل .

٤ الاجدل : الصقر . الساجي : الساكن . الوهل : الفزع .

٥ يريد انه جعله في سبقه مثالا يقتدي به الفرسان .

٦ يسربله : يلبسه . يشبه الزبد ، وقد عم جسمه ، باللباس يغطي الجسد .

٧ الكرسف : القطن .

٨ مفرع الكتفين : عاليهما . العطل : العنق .

مُنْتَفِجُ الجوفِ عريضٌ كلكله، فوافت الخيلُ ونحنُ نشكله
والجِنُّ عُكّافٌ به تُقبّله

•

وقال آخر في فرس أبي الأعور السُّلَمي :

مَرٌّ كلَمعِ البرقِ سامٍ ناظِرُه، تَسْبَحُ أولاه ويَطْفو آخره
فما يَمَسُّ الأرضَ منه حافرُه

وقول هذا أشبه من قول أبي النَّجْم لأنه يقول :

تَسْبَحُ أخراه ويَطْفو أوّله

•

وقال الأصمعي : إذا كان الفرسُ كما قال أبو النَّجم فحِمارُ الكَسّاح[1] أسرع منه ، لأن اضطرابَ مُؤخَّرِه قبيح .

وكان أبو النجم وَصّافاً للخيل إلا أنه غَلِط في هذا البيت . وقد غَلِط رُؤبةُ أيضاً في الفرس فقال يصف قوائمه :

يَهْوِينَ سَتّى ويَقَعْنَ وَفْقَا[2]

ولما انشده مُسلِمَ بنَ قُتَيبة ؛ قال له : أخطأت في هذا يا

---

١ الكساح : الكناس .

٢ الوفق : كل شيء يكون متفقاً على نمط واحد .

أبا الجَحّاف ، جعلته مُقَيَّداً ؛ فقال : قَرِّبني من ذَنَبِ البعير[1]

•

وأنشد الأصمعي :

قد أَطْرُق الحيَّ على سابحٍ ، أسطَعَ مثل الصَّدَعِ الأجْرَدِ[2]
لمّا أتيتُ الحيَّ في مَتْنِه ، كأنّ عُرْجوناً بمَثْنى يَدي[3]
أقبَل يَختالُ على شأوه ، يَضْرب في الأقْرب والأبْعد
كأنه سَكرانُ ، أو عابِسٌ ، أو ابنُ ربٍّ ، حَدَثُ المَولِد

•

وقال غيره :

أمّا إذا استَقْبَلتَه ، فكأنّه جِذعٌ سما فوق النَّخيلِ مُشذَّب
وإذا اعترضت له استوت اقطاره ، وكأنه ، مستَدبَراً ، مُتَصوِّب[4]

•

---

١ يريد أنه يحسن وصف الابل دون الخيل .

٢ السابح : الفرس ، لسبحه بيديه . الاسطع : الطويل العنق . الصدع : الفتى الشاب القوي من الاوعال والابل والحمر .

٣ العرجون : اصل العنقود شبهه به في الضمور .

٤ اقطاره ، واحدها قطر : نواحيه . المتصوب : ضد المتصعد .

وقال ابن المُعتز :

وقد يَحْضُرُ الهيجاءَ بي شَنِجُ النَّسا ،
تَكامَلَ في أسنانه فهو قارِحُ[1]

له عُنُقٌ يَغتالُ طولَ عِنانه ،
وصَدرٌ ، إذا أعطيتَه الجري ، سابِحُ

إذا مال عن أعْطافِه قُلْتَ شاربٌ ،
عَناه بتَصْريف المُدامةِ طافِحُ

وقال أيضاً :

ولقد وَطِئْتُ الغَيْثَ يَحْمِلني
طِرْفٌ ، كَلَونِ الصُّبح حين وَقَدْ[2]

يَمْشي ، فيُعْرِضُ في العِنانِ ، كما
صَدَفَ المُعَشَّقُ ذو الدَّلال وصَد

طارت به رِجْلٌ مُرَصَّعة ،
رَجَّامةٌ لِحَصى الطريقِ ، ويَدْ

فكأنه مَوْجٌ يَسيل ، إذا
أطْلَقْتَه ، وإذا حَبَسْتَ جَمَد

---

١ شنج النسا : منقبضه . والنسا: عرق من الورك الى الكعب . القارح : الفرس في الخامسة من عمره .

٢ الغيث : يريد النبات حيث يكثر الصيد . وهو من المجاز المرسل .

الحلبة والرهان

والحَلْبة : مُجتمعُ الخيل ، يقال : مُجتمَعُ الخيل ؛ ويقال : مُجتَمع الناسِ للرّهان ؛ وهو من قولك : حلبَ بنو فلان على بني فلان وأحلبوا ، إذا اجتمعوا ؛ ويقال منه : حَلَب الحالبُ اللبنَ في القَدَح ، أي جَمعه فيه . والمِقْوَسُ : الحبلُ الذي يُمَدُّ في صدور الخيل عند الإرسال للسباق . والمُنَصَّبةُ : الخيل حين تُنَصَّب[1] للارسال .

وأصل الرّهان من الرّهن ، لأن الرجل يُراهنُ صاحبَه في المُسابقة ، يَضَع هذا رَهْناً وهذا رَهْناً ، فأيُّهما سبَق فرسُه أخذ رهنه ورهن صاحبه .

والرهانُ : مصدر راهنتُه مُراهنة ورهاناً ، كما تقول : قاتلتُه مقاتلة وقتالاً . وهذا كان من أمرِ الجاهليّة ، وهو القِمار المَنْهِيُّ عنه ، فإن كانَ الرهنُ من أحدهما بشيء مُسمّى ، على أنه إن سبق لم يكن له شيءٌ ، وإن سبقه صاحبُه أخذ الرهن ، فهذا حلالٌ ، لأنّ الرهنَ إنما هو من أحدهما دون

---

١ تنصب : تعد بعضها الى جانب بعض .

الآخر ؛ وكذلك إن جَعَل كلُّ واحد منهما رهناً وأدخلا بينهما مُحلِّلًا ، وهو فرسٌ ثالث يكون مع الأوّلين ، ويسمّى أيضاً الدَّخيل ، ولا يُجعَل لصاحبِ الثالث شيءٌ ، ثم يُرسلون الأفراس الثلاثةَ ، فإن سبَق أحدُ الأوّلين أخذَ رهنَه ورهنَ صاحبه ، فكان له طَيِّباً ، وإن سبق الدَّخيل أخذ الرَّهنين جميعاً ، وإن سُبِق هو لم يكن عليه شيء .

ولا يكون الدخيلُ إلا رائعاً جواداً ، لا يأمنانِ أن يَسبقَهما ، وإلا فهذا قِمارٌ ، لأنهما كأنهما لم يُدخلا بينهما محلِّلًا.

قال الأصمعي : السابقُ من الخيل : الأول ، والمُصلّي : الثاني الذي يتلوه . قال : وإنما قيل له مُصلٍّ ، لأنه يكون عند صَلَوَي السابق ، وهما جانبَا ذنَبِه عن يمينِه وشِماله ؛ ثم الثالث والرابع لا اسم لواحد منهما إلى العاشر ، فإنه يُسمّى سُكَيْتاً .

قال أبو عُبيدة : لم نَسمَع في سوابق الخيل ممن يوثَق بعلمه اسماً لشيء منها إلاّ الثاني والعاشر، فإن الثاني اسمه المُصلّي ، والعاشرَ السُّكَيت ، وما سوى ذينك يقال : الثالث والرابع ، وكذلك الى التاسع ؛ ثم السُّكَيت . ويقال السُّكَّيت بالتشديد والتخفيف . فما جاء بعد ذلك لم يُعتدَّ به . والفِسْكِل بالكسر : الذي يجيء آخرَ الخيل ، والعامة تسميه الفُسْكُل بالضم.

وقال أبو عُبيدة : القاشور الذي يجيء في الحَلْبة آخرَ الخيلِ ، وهو الفِسْكل ، وإنما قيل للسُّكَيت سُكَيت ، لأنه آخرُ العددِ الذي يقِفُ العادُّ عليه . والسَّكْت : الوقوف. هكذا كانوا يقولون ؛ فأما اليوم فقد غيّروا .

وكان من شأنهم أن يَمسَحوا على وجهِ السابقِ . قال جرير :

إذا شِئْتمُ أن تمسحوا وجهَ سابقٍ
جَوادٍ ، فمُدُّوا في الرِّهان عِنانيا

ومن قولنا في هذا المعنى :

وإذا جِيادُ الخيلِ ماطَلها المدى ،
وتَقطَّعتْ في شأوها المَبْهورِ[1]

خلُّوا عِناني في الرهان ، ومسِّحوا
مِنّي بغُرَّة أبلقٍ مَشْهورِ

---

١ المبهور : المنقطع النفس لتعبه في الجري .

وصف السلاح

كانت دِرْعُ عليٍّ صَدراً لا ظهرَ لها ؛ فقيل له في ذلك . فقال : إذا استمكَنَ عدوّي من ظهري فلا يُبْقِي .

•

ورُئي الجَرّاحُ بنُ عبدِ الله قد ظاهرَ بين دِرْعين ، فقيل له في ذلك . فقال : لستُ أَقي بَدَني وإنما أَقي صَبري .

•

واشترى زيدُ بن حاتم أدراعاً وقال : إني لستُ أشتري أدراعاً وإنما أشتري أعماراً .

•

وقال حَبيبُ بن المُهلَّب لبَنيه : لا يَقْعُدَنّ أحدكُم في السُّوق ، فإن كنتم لا بدَّ فاعلين فإلى زرّادٍ ، أو سَرّاجٍ ، أو وَرّاق .

•

العُتْبي قال : بعث عُمرُ بن الخطّاب الى عَمرو بن مَعديكرِب أن يبعثَ إليه بسَيفه المعروف بالصَّمصامة ، فبعثَ به إليه ؛ فلما ضَربَ به وجَده دونَ ما كان يبلُغه عنه ، فكتب

إليه في ذلك ؛ فردّ عليه : إنما بعثتُ الى أميرِ المؤمنين بالسيف ، ولم أبعَث بالساعدِ الذي يَضرِب به .

•

وسأله عمرُ بن الخطّاب يوماً عن السلاح . فقال : يسأل أميرُ المؤمنين عما بَدا له . قال : ما تقولُ في التُّرْس ؟

قال : هو المِجَنّ وعليه تدور الدوائر .

قال : فما تقول في الرُّمح ؟

قال : أخوك وربما خانك فانقَصف .

قال : فالنَّبْلُ ؟

قال : مَنايا تُخطىء وتُصيب .

قال : فما تقول في الدّرع ؟

قال : مُثقِلةٌ للراجلِ ، مُتْعِبة للفارس ، وإنها لَحِصْن حصين .

قال : فما تقول في السيف ؟

قال : هناك لا أُمّ لك يا أمير المؤمنين .

فضربه عمر بالدّرة ، وقال : بل لا أُمّ لك .

قال : الحُمّى أضرعَتني إليك[1] .

•

---

١ الحمى أضرعتني اليك : مثل تضربه العرب اذا اضطرت للخضوع .

الهيثم بن عدي قال : وُصِف سيفُ عمرو بن مَعديكرب الذي يقال له الصَّمصامة لموسى الهادي ، فدعا به ، فوُضِع بين يديه مُجَرَّداً ، ثم قال لحاجبه : ائذن للشعراء . فلما دَخلوا ، أمَرهم أن يقولوا فيه . فبَدَرهم ابنُ يامين فقال :

حازَ صَمْصامَةَ الزُّبَيْدِيِّ عَمْرٍو ،
من جميعِ الأنام ، موسى الأمينُ

سيفَ عمرو ، وكان ، فيما سَمِعْنا ،
خيرَ ما أُغمدت عليه الجُفونُ

أخضرَ المَتنِ ، بينَ حَدَّيه نُورٌ
من فِرندٍ ، تَمتَدُّ فيه العُيونُ

أوقدتْ فوقه الصواعقُ ناراً ،
ثم ساطَت به الذُّعافَ القُيونُ[1]

فإذا ما سَلَلتَهُ بَهَرَ الشَّمْسَ
ضِياءً ، فلم تَكدْ تَستَبِينُ

فكأنَّ الفِرِنْدَ ، والرَّونقَ الجاريَ
في صَفحَتَيهِ ، ماءٌ مَعِينُ[2]

---

١ ساطت : خلطت . الذعاف : السم القاتل . القيون ، واحدها قين : الحداد .

٢ الفرند : جوهر السيف ووشيه . المعين : الظاهر الذي تراه العين جارياً على وجه الارض .

وكأنّ المَنونَ نيطت إليه ،
فهْوَ من كلّ جانبَيْه مَنُونُ

ما يُبالي مَن انتضاهُ لضَرْبٍ ،
أشِمالٌ سَطَتْ به أم يَمينُ

فأمر له ببَدْرة وخرجوا .

•

وضرب الزُّبير[1] يومَ الخَندَقِ عثمانَ بن عبدِ الله بن المُغيرة فقطّه الى القَربوس[2]. فقالوا : ما أجودَ سيفَك! فغضب[3] وقال :

متى تَلقني يَعدُو ببَزّي مُقلّصٌ ،
كُمَيتٌ ، بَهيمٌ ، أو أغرُّ مُحَجَّلُ[4]

تُلاقِ امرأ إنْ تَلْقَه ، فبِسَيْفه
تُعلِّمْكَ الأيامُ ما كنتَ تجهلُ

•

---

١ الزبير بن العوام .

٢ قطه : قطعه . القربوس : حنو السرج ، وهما قربوسان .

٣ غضب لانه يريد العمل ليده لا لسيفه .

٤ البز : السلاح . المقلص : الفرس المشمر المشرف الطويل القوائم . كميت ، من الكمتة : لون بين السواد والحمرة . البهيم : مالا شية فيه . الأغر : الذي في جبهته بياض . المحجل : الذي في قوائمه بياض .

وقال أبو الشّيص :

خَتلَتْه المَنونُ بعدَ اختيالٍ ، بين صَفَّينِ من قنًا ونِصالِ

في رِداء من الصَّفيحِ صقيلٍ ، وقَميصٍ من الحديد مُذالِ[1]

•

وبلغ أبا الأغرّ أن أصحابَه بالبادية قد وقع بينهم شرّ ، فوجّه إليهم ابنَه الأغرّ ، وقال : يا بُنيّ ، كن يَداً لأصحابِك على مَن قاتَلَهم ؛ وإياك والسيفَ ، فإنه ظِلُّ الموت ؛ واتّق الرمحَ ، فإنه رِشاءُ المنيّة ؛ ولا تقرَب السِّهام ، فإنها رُسُلُ لا تُؤامِر مُرْسِلَها .

قال : فبماذا أُقاتل ؟

قال : بما قال الشاعر :

جَلاميدُ يملأنَ الأكفَّ ، كأنها
رُؤوسُ رجالٍ حُلِّقَتْ في المواسمِ

•

وذكر أعرابيّ قوماً تحاربوا فقال :

أقبلتِ الفُحولُ تمشي مَشْيَ الوُعولِ ، فلما تصافحوا بالسيوفِ فغَرت المنايا أفواهَها .

•

---

١ القميص : الدرع . المذال : الذي له ذيل ، اي درع طويل يستره .

وقال آخرُ يذكر قوماً أُسِروا : استنزلوهم عن الجِيـاد بلَيِّنة الخُرْصان[1] ، ونزعوهم نَزْعَ الدِّلاء بالأَشْطان[2] .

•

وقال أعرابيّ في آخرين ابتغَوا قوماً أغـاروا عليهم : احتَثُّوا كلَّ جماليّة عَيْرانة[3] ، كيما يَخْصِفون أخفافَ المَطِيّ بحوافر الخُيـل[4] . حتى أدركوهم بعد ثالثـة ، فجعلوا المُرّان أرشِية المَنايا[5] ، فاستَقَوا بها أرواحَهم .

•

ومن أحسن ما قيل في السيف قولُ حبيب :

ونبَّهن مثـلَ السيف ، لو لم تسُلَّه
يَدانِ ، لسَلَّته ظُباه من الغِمْـدِ

وقال في صفة الرماح :

---

١ الخرصان : القنا .

٢ الاشطان : الحبال .

٣ الجمالية : الناقة الوثيقة كالجمل . العيرانة : الناجية في نشاط .

٤ شبه جعلهم اثر اخفاف الابل فوق اثر حوافر الخيل بالنعل المخصوفة اي التي لها نعل جديد فوق نعل عتيق ، واراد سرعة اللحاق بالاعداء .

٥ المران : الرماح الصلبة اللدنة ، الواحدة مرانة . الارشية : الحبال ، الواحد رشاء . وفي الكلام استعارة .

مُثَقَّفاتٌ سَلَبْنَ الرومَ زُرْقَتَها ،
والعُرْبَ سُمْرَتَها ، والعاشِقَ القَضَفا[1]

•

ومن الإفراط القبيح قولُ النابغة في وصف السيف :

يَقُدّ السَّلوقيَّ المُضاعَفَ نَسْجُه ،
ويُوقِد في الصُّفّاح نارَ الحُباحِبِ[2]

فذكر أنه يقُدّ الدّرعَ المُضاعَف نسجُها والفارسَ والفرسَ ، ويقع بها في الأرض فيقدحُ النارَ من الحجارة .

•

وأقبح منه في الإفراط قولُ الآخر[3] :

تَظَلُّ تَحفِرُ عنه ، إن ضربتَ به ،
بَعْدَ الذِّراعينِ والساقين والهادي[4]

•

---

١ اراد بزرقتها زرقة عيونها . القضف : النحافة .

٢ السلوقي ، نسبة الى سلوق : بلدة باليمن كانت تنسب اليها الدروع . الصفاح : حجارة رقاق عراض . نار الحباحب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء من اصطكاك الحجارة بعضها ببعض .

٣ هو النمر بن تولب .

٤ الهادي : العنق . يقول : انه قطع ذلك كله ثم رسب في الارض حتى احتاج صاحبه الى ان يحفر عنه .

وقد جمع العَلويّ وصفَ الخيل والسلاح كلَّه فأحسن وجَوَّد حيث يقول :

بحَسْبيَ من مالي من الخيلِ أعْيطُ ،
سَليم الشَّظى، عاري النَّواهق ، أمْعطُ[1]

وأبْيضُ من ماء الحديد ، مُهَنَّدٌ ،
وأسمرُ عَسّالُ الكُعوب ، عنَطْنَطُ[2]

وبَيضاءُ كالضَّحضاح زغْفٌ مُفاضة
يُكَفّتها عنّي نِجادٌ مُخَطَّطُ[3]

ومَعْطوفةُ الأطْرافِ كَبْداءُ سَمحة ،
مُنَفَّجةُ الأعضادِ ، صَفراءُ ، شَوْحطُ[4]

---

١ الاعيط : الطويل العنق . الشظى : عظم صغير لازق بالركبة او بالذراع أو بالوظيف . النواهق ، وهما ناهقان : عظمان شاخصان من ذي الحافر في مجرى الدمع . الامعط : الذي لا شعر على جسده .

٢ العسال : الرمح الشديد الاهتزاز . عنطنط : طويل .

٣ بيضاء : يريد الدرع . الضحضاح : الماء اليسير . الزغف : الدرع الواسعة الطويلة ، او المحكمة . وقوله : يكفتها عني ، اراد به أن زوائد هذه الدرع وما فضل منها يلتصق بنجاد سيفه فلا يعوق حركته .

٤ الكبداء : القوس تملأ الكف مقبضها . السمحة : المواتية . الشوحط : شجر تتخذ منه القسي .

فيا ليتَ مالي، غيرَ ما قد جَمَعتُه،
على لُجّةٍ، تَيّارُها يَتَغَطْغط[1]

ويا ليتني أُمسي على الدّهر ليلةً،
وليس على نفسي أميرٌ مُسَلَّط

•

ومن قولنا في وَصف الرمح والسيف :

بكلّ رُدَيْنيٍّ، كأنّ سِنانَه
شِهابٌ، بدا في ظُلمةِ الليل، ساطعُ

تقاصَرتِ الآجالُ في طُولِ مَتْنِه،
وعادَت به الآمالُ، وهْي فَجائعُ

وساءت ظُنونُ الحَرْبِ في حُسْنِ ظَنّه،
فهنّ ظُبَاتٌ للقلوبِ قَوارِعُ[2]

وذي شُطَبٍ، تَقْضي المَنايا بحُكْمه،
وليس لِما تَقْضي المَنيّةُ دافعُ[3]

---

١ يتغطغط : ترتفع امواجه وتعلو . يريد أنه لا يبالي اذا بقيت له أداة حربه أن يذهب البحر ببقية ماله .

٢ الظبات ، واحدتها ظبة : حد السيف .

٣ الشطب ، واحدتها شطبة : الطريقة في متن السيف او الخط فيه .

فِرِنْدٌ، إذا ما اعتَنَّ للعين، راكِدٌ،
وبَرْقٌ، إذا ما اهتزَّ بالكفِّ، لامعُ[1]

يُسَلِّلُ أرواحَ الكُماةِ انسلاله،
ويرتاعُ منه الموتُ، والموتُ رائعُ

إذا ما التقت أمثالُه في وَقيعة،
هنالك ظَنُّ النفسِ بالنفسِ واقعُ[2]

•

ومن قولنا في وصف السيف:

بكُلِّ مأثورٍ، على مَتْنِه مثلُ مَدَبِّ النَّمْل بالقاعِ[3]
يرتدُّ طَرْفُ العيْنِ، من حَدِّه، عن كوْكَبٍ للموتِ لمَّاع

•

وقال إسحاق بن خَلَف البَهْرانيّ في صفة السَّيف:

ألقى، بجانبِ خَصْرِه، أمضى منَ الأجل المُتاحْ[4]
وكأنما ذَرَّ الهَباءَ، عليه، أنفاسُ الرِّياحْ[5]

•

---

١ فرند السيف: جوهره ووشيه. اعتن: ظهر.
٢ يريد أن ظن النفس موتها في هذه الوقعة واقع بها دون شك.
٣ المأثور: ذو الاثر، اي فرند السيف. القاع: الارض السهلة المطمئنة.
٤ المتاح: المهيأ.
٥ الهباء: الشيء المنبث الذي تراه في الكوى من ضوء الشمس شبيهاً بالغبار. شبه به ما يرى في جوهر السيف من أثر مثل دبيب النمل.

فيا ليتَ مالي، غيرَ ما قد جَمَعتُه،
على لُجّةٍ، تَيّارُها يَتَغَطْغط[1]

ويا ليتني أُمسي على الدّهر ليلةً،
وليس على نفسي أميرٌ مُسَلَّط

•

ومن قولنا في وَصف الرمح والسيف :

بكلّ رُدَيْنيٍّ، كأنّ سِنانَه
شِهابٌ، بدا في ظُلمةِ الليل، ساطعُ

تقاصَرتِ الآجالُ في طُولِ مَتْنِه،
وعادَت به الآمالُ، وهْي فَجائعُ

وساءت ظُنونُ الحَرْبِ في حُسْنِ ظَنّه،
فهنّ ظُبَاتٌ للقلوبِ قَوارِعُ[2]

وذي شُطَبٍ، تَقْضي المَنايا بحُكْمه،
وليس لِما تَقْضي المَنيّةُ دافعُ[3]

---

١ يتغطغط : ترتفع امواجه وتعلو . يريد أنه لا يبالي اذا بقيت له أداة حربه أن يذهب البحر ببقية ماله .

٢ الظبات ، واحدتها ظبة : حد السيف .

٣ الشطب ، واحدتها شطبة : الطريقة في متن السيف او الخط فيه .

فِرِنْدٌ، إذا ما اعتَنَّ للعين، راكِدٌ،
وبَرْقٌ، إذا ما اهتزَّ بالكفِّ، لامعُ[1]

يُسَلِّلُ أرواحَ الكُماةِ انسلالُه،
ويرتاعُ منه الموتُ، والموتُ رائعُ

إذا ما التقت أمثالُه في وَقيعةٍ،
هنالك ظَنُّ النفسِ بالنفسِ واقعُ[2]

•

ومن قولنا في وصف السيف:

بكُلِّ مأثورٍ، على مَتْنِه مثلُ مَدَبِّ النَّمْلِ بالقاعِ[3]
يرتدُّ طَرْفُ العيْنِ، من حَدِّه، عن كوْكَبٍ للموتِ لمَّاعِ

•

وقال إسحاق بن خَلَف البَهْرانيّ في صفة السَّيف:

ألقى، بجانبِ خَصْرِه، أمضى منَ الأجل المُتاحْ[4]
وكأنما ذَرَّ الهَباءَ، عليه، أنفاسُ الرِّياحْ[5]

•

---

١ فرند السيف: جوهره ووشيه. اعتن: ظهر.
٢ يريد أن ظن النفس موتها في هذه الوقعة واقع بها دون شك.
٣ المأثور: ذو الاثر، اي فرند السيف. القاع: الارض السهلة المطمئنة.
٤ المتاح: المهيأ.
٥ الهباء: الشيء المنبث الذي تراه في الكوى من ضوء الشمس شبيهاً بالغبار. شبه به ما يرى في جوهر السيف من أثر مثل دبيب النمل.

ومن جيّدِ صفاتِ السيفِ قولُ الغَنَويّ :

حُسامٌ ، غداةَ الرَّوْع ، ماضٍ كأنه
مِن الله في قَبْضِ النفوس رَسولُ

كأنّ ، على إفْرِنْدِه ، مَوْجَ لُجَّةٍ ،
تَقاصَرُ في ضَحْضاحه وتَطول[1]

كأنّ جُيوشَ الذَّرِّ كَسَّرْن فوقه
قُرونَ جَرادٍ ، بينَهنّ ذُحول[2]

•

١ الضحضاح : ما رق من الماء على وجه الارض .
٢ الذحول ، واحدها ذحل : الثأر .

النزع بالقوس

إبراهيم الشَّيباني قال : كان رجلٌ من أهلِ الكوفة قد بلغه عن رجلٍ من أهل السُّلطانِ أنه يَعْرِضُ ضَيْعَةً له بواسِطَ في مَغْرَم لزِمه للخليفةِ ، فحمَل وكيلًا له على بَغْل وأترَع له خُرجاً بدنانيرَ وقال له : اذهبْ إلى واسطَ فاشترِ هذه الضيعةَ المَعروضة ، فإنْ كفاك ما في هذا الخُرج ، وإلاَّ فاكتب إليَّ أُمِدَّك بالمال .

فخرج ، فلما أصحر عن البيوت[1] ، لحق به أعرابيٌّ راكبٌ على حمار معه قَوسٌ وكِنانة ، فقال له : إلى أين تتوجّه ؟

فقال : إلى واسطَ .

قال : فهل لك في الصُّحبة ؟

قال : نعم .

فسارا حتى فوّزا[2] ، فعَنَّتْ لهما ظِباء ، فقال له الأعرابيّ : أي هذه الظباء أحبُّ إليك ، المتقدّم منهـا أم المتأخّر

---

١ أصحر عن البيوت : تركها وصار في الخلاء .

٢ فوزا : دخلا المفازة .

فأزكّيه[1] لك ؟

قال له : المتقدّم .

فرماه فخَرَمه بالسهم فاقتنصه ، فاشتَوَيا وأكلا ، فاغتبط الرجلُ بصُحْبة الأعرابيّ ، ثم عنّت لهما زُفّة[2] قطا ، فقال : أيُّها تريدُ فأصرعَها لك ؟

فأشار إلى واحدة منها ؛ فرماها فأقصدها ، ثم اشتَويا وأكلا . فلما انقضى طعامُهما فوّقَ له الاعرابيّ سهماً ثم قال له: أين تريد أن أُصيبك ؟

فقال له : اتّقِ الله عز وجل واحفظ ذِمامَ الصُّحبة .

قال : لا بدّ منه .

قال له : اتّقِ الله ربَّك واستَبقني ، ودونك البغل والخُرج فإنه مُتْرعٌ مالاً .

قال : فاخلع ثيابك .

فانسلخ من ثيابه ثوباً ثوباً حتى بَقي مجرّداً .

قال له : اخلع أمواقَك[3] .

وكان لابساً خُفَّين مُطابَقين[4] ؛ فقال له : اتّقِ الله فيَّ

---

١ أزكيه : أرميه بالسهم فأجعله مزكى يحل أكله .

٢ الزفة : الزمرة .

٣ الامواق ، واحدها موق : خف غليظ يلبس فوق الخف .

٤ مطابقين : لبس أحدهما فوق الآخر .

ودَع لي الخُفّين أتبلّغ بهما من الحر ، فإن الرَّمضاء تحرِق قَدمي .

قال : لا بدّ منه .

قال : فدونَك الخُفّ فأخلعه .

فلمّا تناولَ الخُفّ ، ذكر الرجلُ خَنْجراً كان معه في الخُفّ ، فاستخرجه ثم ضرب به صدرَه فشقّه إلى عانته ، وقال له : الاستقصاء فُرقة . فذهبت مثلًا . وكان هذا الأعرابيّ من رُماة الحَدَق[1] .

•

وحدّثَ العُتْبيّ عن بعض أشياخه قال : كنت عند المُهاجر ابنِ عبدِ الله والي اليمامة ، فأتي بأعرابيّ كان مَعروفاً بالسَّرَق . فقال له : أخبرني عن بعض عجائبك .

قال : عجائبي كثيرة ، ومن أعجبِها أنه كان لي بعيرٌ لا يُسْبَق ، وكانت لي خَيلٌ لا تُلحَق ، فكنتُ أخرُجُ فلا أرجعُ خائباً .

فخرجتُ يوماً فاحترشتُ ضَبّاً[2] ، فعلّقتُه على قَتَبي ، ثم

---

١ رماة الحدق : المهرة في الرماية .

٢ احترش الضب : صاده ، وذلك بأن يحرك يده على باب جحره ليظنه الضب حية فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه .

مررتُ بخِباءٍ ليس فيه إلاّ عجوز . فقلت : يجب أن يكون لهذه رائحة من غنم وإبل . فلما أمسيتُ إذا بإبلٍ وإذا شيخٌ عظيمُ البطن شَثْنُ الكَفَّين[1] ومعه عبد أسود . فلمّا رآني رَحَّب بي ، ثم قام الى ناقة فاحتلبها ، وناولني العُلْبة[2] ، فشربتُ ما يشربُ الرجلُ ، فتناولَ الباقي فضرب به جَبْهته[3] .

ثم احتلبَ تِسْع أينُق ، فشرب ألبانَهن ، ثم نَحر حُواراً[4] فطبخَه ، فأكلتُ شيئاً ، وأكلَ الجميعَ حتى ألقى عِظامه بيضاً ، وجثا على كُومةٍ وتوسّدها ، ثم غطّ غَطيط البَكْر .

فقلت : هذه والله الغنيمةُ ؛ ثم قُمتُ الى فَحل إبله فخطَمتُه[5] ، ثم قرنتُه ببَعيري وصِحْتُ به ، فاتّبعني واتّبعتْه الإبلُ إرباباً به في قِطار[6] ، فصارت خَلْفي كأنها حَبْلٌ ممدود . فمضيتُ أُبادر ثَنِيّة[7] بيني وبينها مسيرةُ ليلة للمُسرع ،

---

١ شثن الكفين : خشنهما غليظهما .

٢ العلبة : القدح الضخم .

٣ ضرب به جبهته : اي شربه كله .

٤ الحوار : ولد الناقة .

٥ خطمته : جعلت الخطام على انفه . والخطام : كل ما وضع في انف البعير ليقاد به .

٦ ارباباً به : تابعة اياه . في قطار : في صف .

٧ الثنية : الطريق في المرافي الصعبة من الجبال .

ولم أزل أضربُ بعيري مرّة بيدي ومرة برجلي حتى طلع الفجر، فأبصرتُ الثنيّةَ وإذا عليها سَوادٌ، فلما دنَوتُ منه، إذا الشيخُ قاعدٌ وقوسُه في حِجْره. فقال: أضيفنا؟

قلت: نعم.

قال: أتسخو نفسُك عن هذه الإبل؟

قلت: لا. فأخرجَ سَهماً كأنه لِسان كلْب، ثم قال: انظُره بين أُذُني الضبّ المُعلَّقِ في القَتَب.

ثم رماه، فصَدع عَظْمه عن دِماغه، فقال لي: ما تقول؟

قلت: أنا على رأيي الأول.

قال: انظر هذا السهمَ الثاني في فِقْرة ظهره الوسْطى.

ثم رمى به فكأنما قدَّره بيده. ثم قال: رأيَك؟

فقلت: إني أُحِبُّ أن أَستثبِت.

قال: انظر هذا السهمَ الثالث في عُكْوة ذنَبِه[1]، والرابع والله في بَطنك.

ثم رماه فلم يُخطىء العُكوة. قلت: أنزلُ آمناً؟

قال: نعم.

فدفعتُ اليه خِطامَ فَحْلِه وقلت: هذه إبلُك لم يذهب منها وَبَرة.

---

١ عكوة الذنب: أصله.

وأنا أنظر متى يَرميني بسَهْم يَقصِدُ[1] به قلبي! فلمّا تباعدت قال: أقبِل.

فأقبلت والله فَرَقاً من شرّه لا طمعاً في خيره.

فقال: ما أحسِبُك تجشّمتَ الليلةَ ما تجشّمت إلاّ من حاجة.

قلت: نعم.

قال: فاقرِن من هذه الابل بَعيرين وامضِ لِطيّتك.

قال قلتُ: أما والله لا أمضي حتى أُخبرك عن نفسِك، فلا والله ما رأيتُ أعرابياً أشدّ ضِرْساً، ولا أعدى رِجْلاً، ولا أرمى يداً، ولا أكرم عفواً، ولا أسخى نفساً منك.

فصرَف وجهه عنّي حَياءً، وقال: خُذِ الابل برمّتِها مُباركاً لك فيها.

•

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: اركبوا وارموا. وأن تَرموا احبُّ اليَّ من أن تركبوا.

وقال: كلُّ لَهْوِ المؤمن باطلٌ إلاّ في ثلاث: تأديبِه فرَسَه، ورَمْيِه عن كبِد قوسه، ومُلاعبتِه امرأته، فإنه حقّ. إن الله ليُدخِلُ الجنّة بالسّهم الواحد: عامله المحتسِب، والقويّ به في سبيل الله، أي والرامي به في سبيل الله.

•

---

١ يقصد: ينتظم. يصيب.

ورُوي عن عُقبة بن عامر قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو قائمٌ على المِنبَر : وأعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ، ألا إنّ القوة الرَّميُ ، ألا إن القوة الرَّميُ .

•

وكان أرمى أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سعدُ ابن أبي وقّاص ، لأنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا له ، فقال : اللهم سَدِّد رَمْيَتَه ، وأجِب دعوتَه . فكان لا يُرَدُّ له دعاء ، ولا يَخِيب له سَهم .

•

وذَكر أُسامةُ بن زيد أن شيوخاً من أسلمَ حدّثوه : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم وهم يرمون ببُطْحان[1] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارموا يا بني إسماعيل[2] ، فقد كان أبوكم رامياً ، وأنا مع ابن الأدرع . فتعدّى القومُ فقالوا : يا رسولَ الله ، من كنتَ معه فقد نَضَل[3] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارموا وأنا معكم كلكم .

---

١ بطحان : موضع بالمدينة .

٢ اسماعيل : هو ابن يعقوب ، جد العرب المستعربة .

٣ نضل : غلب في المناضلة ، وهي المراماة .

فانتضلوا ذلك اليومَ ثم رجعوا بالسّواء ليس لأحدٍ على أحد منهم فَضْل .

•

وقال عمر : ائتزروا وارتدوا ، وانتعلوا واحتفُوا ، وارموا الأغراضَ ، وألقوا الرُّكُب[1] ، وانزوا[2] على الخيل نَزواً ، وعليكم بالمَعَدّية ، أو قال بالعربية ، ودعوا التنعّمَ وزِيَّ العَجَم .

•

وقال أيضاً : لن تَخورَ قُواكم ما نَزَوتم ونزعتم[3] .

•

وجنى قومٌ من أهل اليمامةِ جنايةً ، فأرسلَ السلطانُ إليهم جُنداً من محاربة ابن زياد[4] . فقام رجل من أهل البادية يُذَمِّرُ[5] أصحابه ، فقال : يا معشر العرب ، ويا بني المُحصَنات ، قاتِلوا عن أحسابِكم وأنسابكم ، فواللهِ إنْ ظهر هؤلاء عليكم لا

---

١ الركب ، واحدها ركاب : ما يعلق في السرج فيجعل الراكب فيه رجله .

٢ انزوا : اقفزوا .

٣ اراد ما نزوتم على ظهور الخيل ، وما نزعتم بالقسي .

٤ ابن زياد : عبيد الله بن زياد ابن أبيه . ومحاربته : الفا عبد أتى بهم من بخارى حين استولى عليها من ملكتها خاتون ، وكانوا جيدي الرمي بالنشاب .

٥ يذمر : يحض ويشجع .

يَدَعون بها لَبِنةً حمراء ، ولا نخلةً خضراء ، إلاّ وضعوها بالأرض ، ولاعتراكم من نُشّابٍ معهم في جِعاب ، ينزعون في قِسيّ كأنها الغُبُط[1] ، تَئِط[2] إحداهنّ أطيط الزُّرنوق[3] ، يَمَعَط[4] أحدهم فيها حتى يتفرّقَ شَعر إبطَيْه ، ثم يُرسل نُشّابةً كأنها رِشاءٌ مُنقطِعٌ ، فما بين أحدكم وبين أن تَنْفَضِخ[5] عينُه أو يَنصدعَ قلبه منزلة .

فخلع قلوبَهم ، فطاروا رُعباً .

•

---

١ الغبط ، واحدها غبيط : الرحل الذي قتبه وأحناؤه واحدة ، يشبه القسي بالغبط في اتساعها .

٢ تئط : تصوت .

٣ الزرنوق ، واحد الزرنوقين : منارتان تبنيان على رأس البئر من جانبيها فتوضع عليهما خشبة تعرض عليهما ثم تعلق فيها البكرة فيستقى بها .

٤ يمعط : يفرق في مد قوسه .

٥ تنفضخ : تنفتح ، تنشق .

مشاورة المهدي لاهل بيته

في حرب خراسان

هذا ما تراجَع فيه المهديُّ ووزراؤه ، وما دار بينهم من تدبير الرأي في حَرب خُراسان ، أيامَ تحاملَت عليهم العمّال وأعْنَفَتْ[1] ، فحملتهم الدالّةُ وما تقدَّمَ لهم من المَكانة ، على أن نكثوا بَيْعَتَهم ، ونَقضوا مَوثِقَهم ، وطردوا العُمّال ، والتوَوا بما عليهم من الخَراج .

وحمَل المهديَّ ما يُحِبُّ من مصلحتهم ، ويكره من عَنَتِهم[2] ، على أن أقالَ عَثرتَهم ، واغتفرَ زلّتهم ، واحتمل دالّتهم ، تَطَوُّلاً بالفضل ، واتساعاً بالعفو ، وأخذاً بالحُجّة ، ورِفقاً بالسياسة ؛ ولذلك لم يزل ، مذ حَمَّله الله أعباء الخلافة وقلّده أمور الرعية ، رفيقاً بمَدار سلطانه ، بَصيراً بأهل زمانه ؛ باسطاً للمَعْدلة في رعيَّته ، تسكن الى كنفه ، وتأنس بعفوه ، وتثق بحلمه ، فاذا وقعت الأقضية اللازمة ، والحقوق الواجبة ،

---

١ اعنفت : اخذت الامر بشدة .

٢ عنتهم : فسادهم .

فليس عنده هَوادة ولا إغضاء ولا مُداهنة ، أثرةً[1] للحق ، وقياماً بالعدل ، وأخذاً بالحزم .

فدعا أهلَ خراسانَ الاغترارُ بحلمه ، والثقة بعفوه ، أن كسَروا الخراج ، وطردوا العمّال ، وسألوا ما ليس لهم من الحق ؛ ثم خلطوا احتجاجاً باعتذار ، وخصومة بإقرار ، وتنصّلًا باعتلال .

فلما انتهى ذلك الى المهديّ خرج الى مجلس خَلائه ، وبعث الى نَفَر من لُحْمَته[2] ووزرائه ، فأعلمهم الحالَ ، واستنصحهم للرعية ؛ ثم أمر الموالىَ بالابتداء ، وقال للعباس بن محمد[3] : أي عمّ ، تَعقّبْ قولَنا ، وكُن حَكَماً بيننا .

وأرسل الى ولدَيه موسى وهارون فأحضرهما الأمرَ ، وشاركَهما في الرأي ، وأمر محمدَ بنَ الليث بحِفْظِ مُراجعتِهم ، وإثباتِ مَقالتِهم في كتاب .

فقال سلاّم صاحبُ دارِ المَظالم : أيُّها المهديُّ ، إنّ في كل أمر غايةً ، ولكل قوم صِناعةً ، استفرَغتْ رأيَهم ، واستغرَقتْ أشغالَهم ، واستنفدَت أعمارَهم ، وذهبوا بها وذهبَت بهم ، وعُرفوا بها وعُرفت بهم ؛ ولهذه الأمورِ التي

---

١ اثرة : اختياراً .

٢ اللحمة : القرابة .

٣ هو العباس بن محمد اخو المنصور .

جَعَلْتَنا فيها غايةً ، وطلبتَ مَعونَتَنا عليها ، أقوامٌ من أبناء الحربِ ، وساسةِ الأمورِ ، وقادةِ الجُنود ، وفُرسانِ الهَزاهز[1] ، وإخوانِ التجاربِ ، وأبطالِ الوقائعِ ، الذين رشَحَتْهم سِجالُها[2] ، وفيّأتهم ظِلالُها ، وعضّتهم شدائدُها ، وفرَمَتْهم نواجذُها[3] . فلو عَجَمْتَ ما قِبَلَهم ، وكشفتَ ما عندهم ، لوجدتَ نظائرَ[4] تُؤَيِّدُ أمرَكَ ، وتجاربَ توافقُ نظرَكَ ، وأحاديثَ تُقوّي قلبكَ ؛ فأما نحن ، معاشرَ عُمّالِك ، وأصحابَ دواوينِك ، فَحَسَنٌ بنا وكثيرٌ منّا ، أن نقومَ بِثِقْلِ ما حَمَّلتنا من عملِك ، واستودَعتنا من أمانتِك ، وشَغَلتَنا به من إمضاءِ عَدْلِك ، وإنفاذِ حُكمِك ، وإظهارِ حَقّك .

فأجابه المهدي : إن في كل قوم حِكْمةً ، ولكلّ زمان سياسةً ، وفي كل حالٍ تَدبيراً يُبطِلُ الآخِرُ الأولَ ، ونحنُ أعلمُ بزمانِنا وتدبيرِ سُلطانِنا .

---

١ الهزاهز : الفتن والحروب .

٢ السجال ، واحدها سجل : الدلو . والحرب السجال ان تكون تارة لقوم وتارة عليهم .

٣ قرمتهم : اكلتهم . نواجذها ، واحدها ناجذ : وهو أقصى الاضراس .

٤ النظائر ، واحدها نظير : المثل والمساوي ، والمراد لوجدت امثالا لما تريد الكشف عنه .

قال : نعم ، أيها المهدي ، أنت مُتَّسِعُ الرأي ، وَثيقُ العُقدةِ ، قويُّ المُنّةِ ، بليغُ الفِطْنةِ ، مَعْصومُ النِّيّةِ ، مَحضورُ الرَّوِيّةِ ، مُؤيَّدُ البَديهةِ ، مُوفَّقُ العزيمةِ ، مُعانٌ بالظَّفَرِ ، مَهديٌّ إلى الخيرِ ؛ إن همَمْتَ ففي عَزْمِك مواقع الظنّ ، وإن أجمعتَ صَدَعَ فِعلُك مُلتبِسَ الشكّ[1] ؛ فاعزم يَهدِ الله إلى الصوابِ قَلْبَك ، وقُلْ يُنْطِق الله بالحقّ لسانك ، فإن جُنودكَ جمّةٌ ، وخزائنَك عامرةٌ ، ونفسك سَخِيَّةٌ ، وأمرَك نافذٌ .

فأجابه المهدي : إنّ المُشاورةَ والمُناظرةَ بابا رحمةٍ ، ومِفتاحا بركةٍ ، لا يَهْلِكُ عليهما رأيٌ ، ولا يَتفيّل[2] معهما حَزْمٌ ، فأشيروا برأيِكم ، وقولوا بما يَحضُرُكم ، فإني من ورائِكم ، وتوفيقُ اللهِ من وراءِ ذلك .

قال الرَّبيع[3] : أيها المهديّ ، إنّ تصاريفَ وجوهِ الرأي كثيرةٌ ، وإن الاشارةَ ببعضِ مَعاريض القولِ[4] يسيرةٌ ، ولكنّ خراسانَ أرضٌ بعيدةُ المَسافةِ ، مُتراخيةُ الشُّقّةِ ،

---

١ صدع ملتبس الشك : بينه واوضحه .

٢ لا يتفيل : لا يضعف .

٣ هو الربيع بن يونس .

٤ معاريض القول : ما عرض به ولم يصرح .

مُتفاوتةُ السُّبُل، فإذا ارتأيتَ من مُحكَمِ التدبير، ومُبْرَمِ التقدير، ولُبابِ الصوابِ، رأياً قد أحكمَه نظرُك، وقلَّبه تدبيرُك، فليسَ وراءَه مَذْهبٌ لحُجّةِ طاعنٍ، ولا دونَه مَعْلَقٌ[1] لخُصومةِ عائب؛ ثم خبَّتِ البُرُدُ[2] به، وانطوَت الرُّسلُ عليه، كان بالحَرِيِّ أن لا يصِلَ إليهم مُحكَمُه، إلا وقد حدَثَ منهم ما يَنْقُضُه، فما أيسرَ أن ترجِعَ إليك الرُّسلُ، وتردَ عليك الكتبُ بحقائقِ أخبارِهم، وشوارِدِ آثارِهم، ومَصادرِ أمورِهم، فتُحدِثُ رأياً غيرَه، وتبتدِعُ تدبيراً سواه، وقد انفرجت الحَلَق، وتحلّلتِ العُقَد، واسترْخى الحِقاب[3]، وامتدَّ الزمان. ثم لعلَّما موقِعُ الآخرة كمَصْدرِ الأولى.

ولكن الرأي لك أيها المهدي، وفّقك الله، أن تَصرِفَ إجالةَ النظرِ، وتَقليبَ الفِكرِ، فيما جَمَعْتَنا له، واستشرتَنا فيه، من التدبيرِ لحَرْبِهم، والحِيَلِ في أمرِهم، إلى الطلبِ لرجُلٍ ذي دينٍ فاضلٍ، وعقلٍ كاملٍ، وورَعٍ واسع، ليس موصوفاً بهوًى في سواك، ولا مُتَّهَماً في أثَرةٍ عليك، ولا

---

١ معلق: موضع تعلق به اي تستمسك به خصومة العائب.

٢ خبت: أسرعت. البرد، واحدها بريد: الرسول.

٣ الحقاب: شيء تعلق به المرأة الحلي وتشده في وسطها.

ظنيناً[1] على دُخلة[2] مكروهة، ولا منسوباً إلى بِدْعة محظورة، فيقدحَ في ملكِك، ويُرَبِّضَ[3] الأمورَ لغيرك، ثم تُسنِدُ إليه أمورَهم، وتُفوِّضُ إليه حَربهم، وتأمرُه في عهدِك ووصيّتك إياه، بلزومِ أمرك ما لزِمه الحَزمُ، وخلافِ نَهْيِك إذا خالفه الرأي، عند استحالة الأمور، واستدارة الأحوال، التي يُنْقَض أمرُ الغائب عنها، ويثْبُتُ رأيُ الشاهدِ لها، فإنه إذا فعلَ ذلك فوائبَ أمرَهم من قريبٍ، وسقطَ عنه ما يأتي من بعيدٍ، تَمّتِ الحيلةُ، وقويتِ المَكيدةُ، ونَفَذ العملُ، وأُحِدَّ النظرُ؛ إن شاء الله.

قال الفضل بن العبّاس: أيها المهديّ، إنّ وليَّ الأمور، وسائسَ الحروبِ، ربما جَنَّد جنوده، وفرّق أمواله، في غير ما ضيقِ أمرٍ حَزَبه[4]، ولا ضغْطةِ حالٍ اضطرّته، فيقْعدُ عند الحاجةِ إليها، وبعد التَّفرقةِ لها، عَديماً منها، فاقداً لها، لا يَثِقُ بقُوّةٍ، ولا يصولُ بعُدّةٍ، ولا يفزَعُ إلى ثِقةٍ؛ فالرأيُ لك أيها المهديُّ، وفّقك الله، أن تُعفِيَ خزائنَك من

---

١ الظنين: المتهم.

٢ الدخلة: المذهب.

٣ يربض: يثبت.

٤ حزبه: اشتد عليه.

الانفاقِ للأموالِ ، وجُنودَك من مُكابدةِ الأسفارِ ، ومُقارعةِ الأخطارِ ، وتغريرِ القِتالِ ، ولا تُسرِعْ للقومِ في الاجابةِ إلى ما يطلبون ، والاعطاءِ لما يسألون ، فيَفسُدَ عليك أدبُهم ، وتُجرّىء من رعيّتِك غيرَهم ؛ ولكن اغزُهم بالحيلةِ ، وقاتِلهم بالمكيدةِ ، وصارِعْهم باللّينِ ، وخاتِلهم بالرفقِ ، وأبرِقْ لهم بالقولِ ، وأرْعِد نحوَهم بالفعلِ ، وابعثِ البُعوثَ ، وجَنِّدِ الجنودَ ، وكَتِّبِ الكتائبَ ، واعقِدِ الألويةَ ، وانصُبِ الرايات ، وأظهِرْ أنك مُوجِّه إليهم الجيوشَ ، مع أحنقِ قُوادِك عليهم ، وأسوإِهم أثراً فيهم .

ثم ادسُسِ الرسلَ ، وابثُثِ الكتبَ ، وضَع بعضَهم على طَمع من وعدِك ، وبعضاً على خوفٍ من وعيدِك ، وأوقِد بذلك وأشباهِه نيرانَ التحاسُدِ فيهم ، واغرِسِ اشجارَ التنافُسِ بينهم ، حتى تُملأ القُلوبُ من الوَحشةِ ، وتَنطويَ الصدورُ على البِغْضَة ، ويدخُلَ كلاً من كلٍّ الحذرُ والهيبة ، فإن مَرامَ الظفرِ بالغِيلة ، والقِتالَ بالحيلةِ ، والمُناصبةَ بالكتب ، والمُكايدةَ بالرسلِ ، والمقارعةَ بالكلام اللطيفِ المَدْخلِ في القلوبِ ، القويِّ المَوْقعِ من النفوسِ ، المَعقودِ بالحُججِ ، المَوصولِ بالحِيَل ، المبنيِّ على اللّينِ ، الذي يستلِبُ العقولَ ، ويسترِقُ القلوبَ ، ويسبي الآراء ، ويستميلُ الأهواءَ ،

ويستدعي المُواتاة[1] ، أنفذُ من القتالِ بظُبات السيوفِ وأسنّة الرماحِ .

كما أن الوالي الذي يستنزلُ طاعةَ رعيّته بالحِيَل ، ويُفرّقُ كلمةَ عدوه بالمُكايدةِ ، أحكمُ عملًا ، وألطف نظراً ، وأحسنُ سياسةً من الذي لا ينالُ ذلك إلا بالقتال ، وإتلافِ الأموالِ ، والتغريرِ والخِطار[2] . وليعلم المهديّ أنه إن وجّه لقتالِهم رجلًا ، لم يسِرْ لقتالهم إلاّ بجنودٍ كثيفة تخرُجُ عن حالٍ شديدة ، وتُقدِمُ على أسفارٍ صَعْبة ، وأموال متفرّقة ، وفُؤاد غَشَشَة ، إن ائتمنَهم استنفدوا ماله ، وإن استنصَحَهم كانوا عليه لا له .

قال المهدي : هذا رأي قد أسفرَ نُوره ، وبرق ضَوؤه ، وتَمثّل صوابه للعيونِ ، ونجسد حقه في القلوب . ولكنْ فوق كل ذي عِلْمٍ عليمٌ . ثم نظر الى ابنه عليّ ، فقال : ما تقول؟

قال عليّ : أيها المهدي ، ان أهل خُراسان لم يخلعوا من طاعتك يداً ، ولم يَنصبوا من دونك أحداً يَكْدَحُ في تَغيير مُلكك ، ويُربّض الأمورَ لفسادِ دولتِك ، ولو فَعلوا لكان الخُطب أيسر ، والشأن أصغر ، والحال أذلّ ، لأن الله مع حقه الذي لا يخذُله ، وعند موعده الذي لا يُخلفُه .

---

١ المواتاة : الموافقة .

٢ الخطار : المخاطرة .

ولكنهم قومٌ من رعيّتك ، وطائفةٌ من شيعتِك ، الذين جعلك الله عليهم والياً ، وجعل العدلَ بينك وبينهم حاكماً ، طلبوا حقّاً ، وسألوا إنصافاً ، فإن أجَبتَ إلى دعوتهم ، ونفّست عنهم قبل أن تتلاحم منهم حالٌ ، أو يَحدُثَ من عندهم فَتْقٌ[1] ، أطعتَ أمر الربّ ، وأطفأتَ نائرة الحرب[2] ، ووفّرت خزائن المال ، وطرحت تغرير القتال ، وحمل الناس مَحْمل ذلك على طبيعةِ جُودك ، وسجيّة حلمك ، وإسجاح[3] خليقتك ، ومعدلة نظرك ، فأمنت أن تُنْسَبَ الى ضعف ، وأن يكون ذلك لهم فيما بقي دُربةً .

وان منعتهم ما طلبوا ، ولم تجبهم الى ما سألوا ، اعتدلت بك وبهم الحال ، وساويْتهم في ميدان الخطاب . فما أرب المهدي أن يعمد الى طائفةٍ من رعيته ، مقرّين بمَمْلكته ، مذعنين لطاعته ، لا يُخرجون أنفسهم عن قدرته ، ولا يبرئونها من عبوديته ، فيملّكَهم أنفسهم ، ويخلعَ نفسه عنهم ، ويقفَ على الجدَل معهم ، ثم يُجازيَهم السوء في جدّ المقارعةِ ، ومضمار المخاطرة ؟

أيريد المهدي ، وفّقه الله ، الأموال ؟ فلعمري لا ينالها ولا

---

١ الفتق : شق عصا الطاعة .

٢ نائرة الحرب : ما اشتعل منها واتقد .

٣ الاسجاح : حسن العفو .

يظفر بها إلا بإنفاق أكثرَ مما يَطلب منهم، وأضعافِ ما يدَّعي قِبَلهم؛ ولو نالها فحُملت اليه، ووضعت بخرائطها[1] بين يديه، ثم تجافى لهم عنها، وطال عليهم[2] بها، لكان ذلك مما اليه يُنسب، وبه يُعرف، من الجودِ الذي طبعه الله عليه، وجعل قرَّةَ عينه ونهْمةَ نفسه[3] فيه.

فإن قال المهدي: هذا رأي مستقيم سديدٌ في أهل الخراج الذين شكوا ظلمَ عُمّالنا، وتحاملَ ولاتنا؛ فأما الجنود الذين نقضوا مواثيقَ العهود، وأنطقوا لسانَ الارجاف[4]، وفتحوا باب المعصية، وكسروا قيْد الفتنة، فقد ينبغي لهم أن أجعلهم نَكالاً لغيرهم، وعظة لسواهم؛ فيعلمُ المهديُّ: أنه لو أُتي بهم مغلولين في الحديد، مقرَّنين في الاصفاد[5]، ثم اتسع لحقن دمائهم عفوه، ولاقالة عثرتهم صفحه، واستبقاهم لما هم فيه من حربه، أو لمن بإزائهم من عدوّه، لمَا كان بِدعاً من رأيه، ولا مستنكَراً من نظَره.

---

١ الخرائط، واحدتها خريطة: وعاء من أدم وغيره يشد على ما فيه.

٢ طال عليهم: أنعم عليهم.

٣ نهمة النفس: حاجتها وشهوتها.

٤ الارجاف: الخوض في أخبار الفتن لايقاع الاضطراب في الناس من غير ان يصح عندهم شيء.

٥ الأصفاد: القيود، واحدها صفد.

لقد علمت العربُ أنه أعظمُ الخلفاء والملوك عفواً ، وأشدُّها وقعاً ، وأصدقُها صَولة ، وأنه لا يتعاظمُه عفوٌ ، ولا يتكاءده[1] صفحٌ ، وإن عظُم الذنبُ ، وجلَّ الخطبُ ، فالرأي للمهديّ ، وفّقه الله تعالى ، أن يَحلُلَ عُقدةَ الغيظِ بالرجاء لحُسن ثواب الله في العفو عنهم ، وأن يذكُرَ أولى حالاتِهم ، وضَيْعةَ عيالاتهم ، بِرًّا بهم[2] ، وتوسُّعاً لهم ، فإنهم إخوان دولته ، وأركان دعوتـــه ، وأساس حقّه ، الذين بعِزّتهم يصولُ ، وبحُجّتهم يقول .

وإنما مَثلُهم فيما دخلوا فيه من مَساخِطه ، وتعرّضوا له من معاصيه ، وانطوَوا فيه عن إجابته ، ومَثلُه في قِلّةِ ما غيَّر ذلك من رأيه فيهم ، أو نقَل من حاله لهم ، او تغيَّر من نعمتِه عليهم ، كمثَل رجلين أخوين مُتناصرَين مُتوازرَين ، أصاب أحدَهما خَبلٌ عارضٌ ، ولَمَمٌ[3] حادثٌ ، فنَهض الى اخيه بالأذى ، وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزد ذلك أخاه إلاّ رِقّةً له ولطفاً به ، واحتيالاً لمداواة مرَضِه ، ومراجعة حاله ، عَطفاً عليه ، وبِرًّا به ، ومرحمةً له .

---

١ يتكاءده : يشق عليه .

٢ براً بهم : احساناً لمعاملتهم .

٣ اللمم : طرف من الجنون يلم بالانسان .

فقال المهدي : أما عليّ فقد نوى سَمْتَ اللّيان[1] ، وفَضّ القلوبَ عن أهل خُراسان ، ولكل نبأ مستقرّ . ثم قال : ما ترى يا أبا محمد ؟ يعني موسى ابنه .

فقال موسى : أيها المهدي ، لا تسكن الى حلاوةِ ما يجري من القول على ألسنتِهم ، وأنتَ ترى الدماء تسيلُ من خَلل فِعلهم . الحالُ من القوم تنادي بمُضمِرةِ شرّ ، وخفيّة حِقد ، قد جعلوا المعاذيرَ عليها سِتراً ، واتخذوا العِلل من دونها حجاباً ، رجاءَ أن يُدافعوا الأيامَ بالتأخير ، والأمورَ بالتطويل ، فيكسِروا حِيَل المهدي فيهم ، ويَثْنوا جنوده عنهم ، حتى يتلاحمَ أمرهم ، وتتلاحقَ مادّتهم ، وتستفحلَ حربهُم ، وتستمرّ الأمور بهم ، والمهديُّ من قولهم في حالِ غِرّة ، ولِباسِ أَمَنَة ، قد فتَر لها ، وأَنِس بها ، وسكَن إليها ، ولولا ما اجتمعَت به قلوبهم ، وبرَدَت عليـــه جُلودُهم ، من المُناصبةِ بالقتال ، والإضمار للقِراع ، عن داعيةِ ضَلال ، أو شيطانِ فساد ، لرهِبوا عواقبَ أحوال الولاة ، وغِبّ سكون الأمور .

فليشدُدِ المهديُّ ، وفّقه الله ، أزرَه لهم ، ويُكتّب كتائبه نحوهم ، وليَضع الأمر على أشد ما يحضُره فيهم ، وليُوقِنْ أنه لا يُعطيهم خُطة يُريد بها صلاحهم ، إلا كانت دُربةً لفسادِهم ،

---

١ السمت : الطريق . الليان : الملاينة .

وقوةً على معصيتهم ، وداعيةً الى عودتهم ، وسبباً لفساد من بحضرتِه من الجنود ، ومن ببابه من الوفود ، الذين إن أقرَّهم على تلك العادة ، وأجراهم على ذلك الأدب ، لم يبرح في فَتْقٍ حادثٍ ، وخِلافٍ حاضرٍ ، لا يصلُحُ عليه دِينٌ ، ولا تستقيمُ به دنيا .

وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة ، واستمرار الدُّربة ، لم يصِل الى ذلك إلا بالعقوبة المُفرطة ، والمؤونة الشديدة .

والرأي للمهديّ ، وفَّقه الله ، أن لا يُقيل عثرتَهم ، ولا يقبل معذرتهم ، حتى تَطأهم الجيوشُ ، وتأخذَهم السيوفُ ، ويستحِرّ بهم القتلُ ، ويُحدق بهم الموت ، ويُحيط بهم البلاء ، ويُطْبِق عليهم الذُّلُّ ؛ فإن فَعل المهديُّ بهم ذلك ، كان مَقطعة لكل عادةِ سُوءٍ فيهم ، وهزيمةً لكل بادرةِ شرٍّ منهم ؛ واحتمالُ المهديِّ مؤونة غزوتهم هذه يضع عنه مؤونة غزواتٍ كثيرة ، ونفقاتٍ عظيمة .

قال المهدي : قد قال القوم ، فاحكم يا أبا الفضل .

فقال العبّاس بن محمد : أيها المهديُّ ، أما الموالي فأخذوا بفروع الرأي ، وسلكوا جنبات الصواب ، وتعدَّوا أموراً قَصَّر نظرهم عنها لأنه لم تأتِ تجاربُهم عليها .

وأما الفضل فأشار بالأموالِ أن لا تُنفَقَ ، والجنودِ أن لا

تُفرَّقَ ، وبأن لا يُعطى القومُ ما طلبوا ، ولا يُبذَلَ لهم ما سألوا ، وجاء بأمرٍ بين ذلك استصغاراً لأمرهم ، واستهانةً بحربهم ، وإنما يَهيجُ جَسيماتِ الأمور صغارُها .

وأما عليّ فأشار باللّين وإفراط الرفق . وإذا جَرَّد الوالي لمن غَمطَ أمرَه ، وسَفِه[1] حقَّه ، اللينَ بَحْتاً ، والخيرَ مَحْضاً ، لم يخلِطهما بشدةٍ تَعْطِفُ القلوبَ على لِينه ، ولا بشرٍّ يحيشُهم[2] الى خيره ؛ فقد ملّكهم الخَلعَ لعُذُرِهم[3] ، ووسّع لهم الفُرجة لثَنْي أعناقِهم[4] ؛ فإن أجابوا دعوته ، وقبلوا لِينه من غير خوف اضطرّهم ، ولا شدةِ حالٍ أحرجتهم ، لم يزل ذلك يَهيجُ عِزّةً في نفوسهم ، ونَزوةً في رؤوسهم ، يستدعون بها البلاء الى أنفسِهم ، ويصرفون بها رأي المهديّ فيهم ، وإن لم يقبلوا دعوتَه ، ويُسرعوا لإجابته ، باللين المحض ، والخير الصُّراح ، فذلك ما عليه الظَّنُّ بهم ، والرأيُ فيهم ، وما قد يُشبِه أن يكونَ من مِثلهم ؛ لأنّ الله تعالى خلق الجنّة وجعل فيها من النعيم المُقيم ، والمُلك الكبير ، ما لا يخطُرُ على قلب بشر ،

---

١ سفه : نسي .

٢ يحيشهم : يجعلهم يفزعون .

٣ العذر ، واحدها عذار : وهو ما سال من اللجام على خد الفرس . وخلع العذار : هو ان يقول الانسان ويفعل ما يريد ولا يبالي .

٤ لثني اعناقهم : لتكبرهم .

ولا تُدركُهُ الفِكَرُ ، ولا تعلمُهُ نفسٌ ، ثم دعا الناسَ إليها ، ورغّبهم فيها ، فلولا أنه خلَقَ ناراً جعلها لهم رحمةً يسوقُهم بها الى الجنةِ ، لمَا أجابوا ولا قَبِلوا .

وأما موسى فأشار بأن يُعْصَبوا[1] بشِدّةٍ لا لِينَ فيها ، وأن يُرمَوا بشرٍّ لا خيرَ معه ، وإذا أضمر الوالي لمن فارق طاعتَه ، وخالف جماعتَه ، الخوفَ مُفرداً ، والشرَّ مجرَّداً ، ليس معهما طمعٌ يكسِرهم ، ولا لِينٌ يَثنيهم ، امتدّت الأمور بهم ، وانقطعت الحالُ منهم ، الى أحد أمرين : إما أن تدخلهم الحميّةُ من الشدة ، والأنفةُ من الذلّة ، والامتعاضُ من القهر ، فيدعوهم ذلك الى التمادي في الخِلاف ، والاستبسال في القتال ، والاستسلام للموت ؛ وإما أن يَنقادوا بالكُره ، ويُذعِنوا بالقهر ، على بِغْضةٍ لازمة ، وعداوةٍ باقية ، تورثُ النِّفاق ، وتُعقبُ الشقاق ، فاذا أمكنتهم فرصةٌ ، أو ثابَت لهم قُدرةٌ ، أو قَوِيت لهم حالٌ ، عادَ أمرهم الى أصعبَ وأغلظَ وأشدَّ مما كان .

وقال : في قول الفضل ، أيها المهديُّ ، أكفى دليلٍ ، وأوضحُ برهانٍ ، وأبيَنُ خبرٍ بان ، قد اجتمع رأيُه ، وحزمَ نظرُه على الإرشاد ببَعْثةِ الجيوشِ إليهم ، وتوجيهِ البعوثِ

---

١ عصب الشيء : لواه وشده .

نحوهم ، مع إعطائهم ما سألوا من الحق ، وإجابتهم الى ما سألوا من العدل .

قال المهديُّ : ذلك رأي .

قال هارون : خلطتَ الشدَّة أيها المهديُّ باللّين ، فصارت الشدة أمرٌ فِطامٍ لما تكره ، وعاد اللّينُ أهدى قائدٍ الى ما تُحِب ، ولكني أرى غير ذلك .

قال المهدي : لقد قلتَ قولاً بديعاً[1] ، خالفتَ به أهلَ بيتِك جميعاً ، والمرء مُتَّهَم بما قال ، وظنين بما ادَّعى ، حتى يأتيَ ببيّنةٍ عادلة ، وحُجّةٍ ظاهرة ؛ فاخرج عما قلت .

قال هارون : أيها المهدي ، إن الحربَ خُدعةٌ ، والأعاجمَ قومٌ مَكَرَةٌ ، وربما اعتدلتِ الحال بهم ، واتفقت الأهواء منهم ، فكان باطنُ ما يُسِرّون على ظاهر ما يُعلِنون ؛ وربما افترقتِ الحالان ، وخالف القلبُ اللسانَ ، فانطوى القلبُ على محجوبةٍ تُبْطَنُ ، واستسرَّ بمدخولةٍ لا تُعلَن . والطبيب الرفيق بطِبّه ، البصيرُ بأمره ، العالمُ بمُقدَّم يده[2] ، وموضِع ميسَمه[3] ، لا يتعجَّل بالدواء ، حتى يقع على معرفة الداء .

---

١ البديع : المبتدع ، الذي لا نظير له .

٢ مقدم يده : الموضع الذي يقدم الطبيب فيه يده من المريض .

٣ الميسم : المكواة .

فالرأي للمهدي ، وفّقه الله ، أن يفرّ[1] باطنَ أمرهم فرَّ المُسِنَّة ، ويمخَضَ[2] ظاهرَ حالهم مخضَ السِّقاء ، بمُتابعة الكتب ، ومظاهرة الرسل ، ومُوالاة العيون ، حتى تُهتَك حُجب غيوبهم ، وتُكشَف أغطية أُمورهم .

فإن انكشفت الحال له ، وأفضت الأمور به ، الى تغيير حالٍ ، أو داعيةِ ضلالٍ ، اشتملتِ الأهواءُ عليه ، وانقاد الرجال إليه ، وامتدّت الأعناقُ نحوه ، بدِينٍ يعتقدونه ، وإثمٍ يستحلّونه ، عصبَهم بشِدّةٍ لا لين فيها ، ورماهم بعقوبةٍ لا عفوَ معها .

وإن انفرجتِ الغيوبُ ، واهتُصِرتِ السُّتورُ ، ورُفِعت الحُجُبُ ، والحالُ فيهم مَريعةٌ[3] ، والأمور بهم مُعتدِلةٌ ، عن أرزاقٍ يَطلُبونها ، وأعمالٍ يُنكِرونها ، وظُلاماتٍ يَدّعونها ، وحُقوقٍ يسألونها ، بماتّةِ[4] سابقتِهم ، ودالّةِ مُناصحتِهم ، فالرأي للمهدي ، وفّقه الله ، أن يَتّسِعَ لهم بما طلبوا ، ويتجافى لهم عمّا كَرِهوا ، ويَشْعَبَ من أمرهم ما صَدَعوا ، ويرْتُقَ من فَتْقِهم ما فتَقوا ، ويولّي عليهم من أحبُّوا ، ويداوي بذلك مرضَ

---

١ يفر : يختبر ، من فر الدابة ، اذا كشف عن اسنانها ليعرف سنها .

٢ يمخض : من مخض الرأي ، قلبه وتدبر عواقبه حتى ظهر له الصواب . ومخض اللبن في السقاء : استخرج زبده .

٣ مريعة : موفورة الرزق مخصبة .

٤ الماتة : الحرمة والقرابة .

قلوبِهم ، وفسادَ أمورِهم ، فإنما المهديّ وأمّته وسواد أهلِ مملكتِه ، بمنزلةِ الطبيبِ الرفيقِ ، والوالدِ الشفيقِ ، والراعي الحَدِبِ[1] ، الذي يحتالُ لمَرابضِ غنمِه ، وضوالّ رعيّتِه ، حتى يُبرِئَ المريضةَ من داء علّتِها ، ويَرُدَّ الضالّةَ إلى أُنس جماعتِها .

ثم إن خراسانَ بخاصةٍ لهم دالةٌ محمولةٌ ، وماتّةٌ مقبولةٌ ، ووسيلةٌ معروفةٌ ، وحقوقٌ واجبةٌ ، لأنهم أيدي دولتِه ، وسيوفُ دعوتِه ، وأنصارُ حقّه ، وأعوانُ عدلِه ؛ فليس من شأنِ المهدي : الاضطغانُ عليهم ، ولا المُؤاخذةُ لهم ، ولا التوعُّر[2] بهم ، ولا المُكافأةُ بإساءتهم ، لأنّ مبادرةَ حسْمِ الأمورِ ضعيفةً قبل أن تقْوى ، ومُحاولةَ قطعِ الأصول ضئيلةً قبلَ أن تغْلُظ ، أحزمُ في الرأي ، وأصحُّ في التدبير ، من التأخيرِ لها ، والتهاونِ بها ، حتى يَلتئمَ قليلُها بكثيرِها ، وتجتمعَ أطرافُها إلى جُمهورِها .

قال المهدي : ما زالَ هارونُ يقعُ وقْعَ الحيا ، حتى خرج خروجَ القِدْحِ مما قال ، وانسلّ انسلالَ السيفِ فيما ادّعى ، فدعُوا ما قد سبقَ موسى فيه أنه هو الرأيُ ، وثنّى بعدَه

---

١ الحدب : العطف .

٢ التوعر : التشدد .

هارون ، ولكنْ من لأعنّةِ الخيلِ ، وسياسةِ الحربِ ، وقادةِ الناسِ ، إن أمعنَ بهم اللَّجاجُ ، وافرطت بهم الدالّةُ ؟

قال صالح : لسنا نبلُغُ أيها المهديُّ بدوام البحثِ ، وطولِ الفكْرِ ، أدنى فراسةِ رأيِك ، وبعضَ لحظاتِ نظرِك ، وليسَ ينفضُّ عنك من بيوتاتِ العربِ ، ورجالاتِ العجَمِ ، ذو دينٍ فاضلٍ ، ورأيٍ كاملٍ ، وتدبيرٍ قويٍّ ، تُقلّدُه حربَك ، وتستودِعُه جندَك ، ممن يحتمِلُ الأمانةَ العظيمةَ ، ويَضطلعُ بالأعباءِ الثقيلةِ ، وأنت بحمدِ الله ميمونُ النقيبةِ [1] ، مباركُ العزيمةِ ، مخْبورُ التجاربِ ، محمودُ العواقبِ ، معْصومُ العزْمِ ، فليسَ يقعُ اختيارُك ، ولا يَقفُ نظرُك ، على أحدٍ تولّيه أمرَك ، وتُسنِدُ إليه ثغرَك ، إلا أراك الله منه ما تُحِبُّ ، وجَمعَ لك منه ما تريد .

قال المهديّ : إني لأرجو ذلك لقديمِ عادةِ الله فيه ، وحسنِ معونتِه عليه ، ولكن أُحبُّ الموافقةَ على الرأي ؛ والاعتبارَ بالمشاورةِ في الأمرِ المُبهم .

قال محمدُ بن الليث : أهلُ خراسانَ ، أيها المهدي ، قومٌ ذوو عِزّةٍ ومَنَعةٍ ، وشياطينُ خَدَعةٍ ، زُروعُ الحَميّةِ فيهم

---

١ ميمون النقيبة : محمود المختبر .

نابتةٌ، وملابسُ الأنفةِ عليهم ظاهرةٌ، فالرَّويَّةُ عنهم عازبةٌ[1]؛ والعجَلةُ فيهم حاضرةٌ، تسبُقُ سيولُهم مطرَهم، وسيوفُهم عذلَهم، لأنهم بين سِفْلة لا يعدو مبلغُ عقولِهم منظرَ عيونِهم، وبين رؤساء لا يُلجَمون إلا بالشدَّة، ولا يُفطَمون إلا بالقهر، وإن ولّى المهدي عليهم وضيعاً لم تنقَد له العُظماءُ، وإن ولّى أمرَهم شريفاً تحامَلَ على الضعفاء، وإن أخَّر المهديُّ أمرَهم، ودافعَ حرْبهم، حتى يُصيبَ لنفسِه من حشمِه ومواليه، أو بني عمِّه أو بني أبيه، ناصحاً يتّفِقُ عليه أمرُهم، وثقةً تجتمِعُ له أملاؤهم[2]، بلا أنفةٍ تلزمهم، ولا حميَّةٍ تدْخلهم، ولا عصبيّة تُنفِّرهم، تنفَّست الأيام بهم، وتراخت الحال بأمرهم، فدخل بذلك من الفسادِ الكبير، والضَّياع العظيم، ما لا يَتلافاه صاحبُ هذه الصِّفة وإن جدَّ، ولا يَستصلِحُه وإن جَهَد، الا بعد دهرٍ طويلٍ، وشرٍّ كبير.

وليس المهدي، وفّقه الله، فاطماً عاداتهم، ولا قارعاً صَفاتَهم، بمثل أحدِ رجلينِ لا ثالث لهما، ولا عدْلَ في ذلك بهما: أحدهما لسانٌ ناطقٌ، موصولٌ بسمْعِك، ويدٌ ممثّلةٌ لعينك، وصخرةٌ لا تزعزَعُ، وبُهْمةٌ لا يُثنى، وبازِلٌ[3] لا يُفزِعُه صوتُ

---

١ عازبة: غائبة.

٢ املاؤهم: جماعاتهم، الواحد: ملأ.

٣ البازل: اراد به الرجل الكامل في تجربته.

الجُلجُل ، نقيُّ العِرْض ، نزيهُ النفسِ ، جليلُ الخطر ، قد اتَّضعتِ الدنيا عن قدرِه ، وسما نحو الآخرة بهمّتِه ، فجعلَ الغَرَضَ الأقصى لعينِه نُصْباً ، والغرضَ الأدنى لقدمِه مَوطِئاً ، فليس يُغفِل عملًا ، ولا يتعدّى أملًا ، وهو رأسُ مواليك ، وأنصحُ بني أبيك ، رجلٌ قد غُذّي بلطيف كرامتك ، ونبت في ظلّ دولتك ، ونشأ على قويم أدبك .

فإن قلدته أمرهم ، وحمّلته ثِقلهم ، وأسندت اليه ثغرَهم ، كان قفلًا فتحه أمرُك ، وباباً أغلقه نهيُك ، فجعلَ العدلَ عليه وعليهم أميراً ، والانصافَ بينه وبينهم حاكماً ، وإذا حكّم النَّصفة ، وسلك المَعْدلة ، فأعطاهم ما لهم ، وأخذ منهم ما عليهم ، غرسَ لك في الذي بين صدورهم ، وأسكنَ لك في السويداء داخلَ قلوبهم ، طاعةً راسخةَ العروقِ ، باسقةَ الفروع ، مُتمثّلةً في حواشي عوامّهم ، متمكنةً من قلوب خواصّهم ، فلا يبقى فيهم رَيبٌ إلا نَفَوه ، ولا يلزمُهم حقٌ إلا أدّوه ، وهذا أحدهما .

والآخر عُودٌ من غَيْضَتِك ، ونبعةٌ من أرومتِك ، فتيُّ السِّنّ ، كَهْلُ الحِلم ، راجحُ العقل ، محمودُ الصّرامةِ ، مأمون الخِلافِ ، يجرّدُ فيهم سيفَه ، ويبسُطُ عليهم خيرَه ، بقدْرِ ما يستحقّون ، وعلى حسب ما يستوجبون ، وهو فلانٌ أيها المهدي . فسلّطه ، أعزّك الله ، عليهم ، ووجّهه بالجيوش اليهم ، ولا تمنعْك

ضراعة سنّه[1] ، وحداثة مولده ، فإن الحلم والثقة مع الحداثة ، خيرٌ من الشكّ والجهل مع الكهولة ، وإنما أحداثكم ، أهلَ البيت ، فيما طبعكم الله عليه ، واختصّكم به ، من مكارم الاخلاق ، ومحامد الفعال ، ومحاسن الأمور ، وصواب التدبير ، وصرامة الانفس ، كفراخ عتاق الطير[2] المُحكمَةِ لأخذ الصيد بلا تدريبٍ ، والعارفةِ لوجوهِ النَّفع بلا تأديبٍ ، فالحِلمُ والعِلمُ والعَزمُ والحَزمُ والجودُ والتُّؤدَةُ والرِّفقُ ثابتٌ في صدوركم ، مَزروعٌ في قلوبكم ، مُستَحكِمٌ لكم ، متكامِلٌ عندكم ، بطبائع لازمة ، وغرائز ثابتة .

قال معاوية بن عُبد الله : أفتاء[3] أهل بيتك ، أيها المهدي ، في الحلم على ما ذُكِر ، وأهلُ خراسانَ في حال عِزٍّ على ما وُصف ؛ ولكن ان وَلِيَ المهديُّ عليهم رجلًا ليسَ بقديمِ الذِّكرِ في الجُنودِ ، ولا بِنَبيهِ الصوتِ في الحُروب ، ولا بطويل التجربةِ للأمورِ ، ولا بمعروفِ السياسةِ للجيوشِ ، والهيبةِ في الأعداءِ ، دخلَ ذلك أمرانِ عظيمان ، وخطران مهولان ، أحدهما : أنّ الأعداءَ يغتمِزُونها[4] منه ، ويحتقِرونها فيه ،

---

١ ضراعة سنه : شابه .

٢ عتاق الطير : كرامها .

٣ الأفتاء : جمع فتى .

٤ يغتمزونها : يستضعفونها .

ويجترئون بها عليه ، في النهوضِ به ، والمقارعةِ له، والخلافِ عليه ، قبل الاختبـــار لأمره ، والتكشُّفِ لحاله ، والعلمِ بطباعه . والأمر الآخرُ : أنّ الجنودَ التي يقودُ ، والجيوشَ التي يسوسُ ، إذا لم يختبروا منه البأسَ والنجدة ، ولم يعرفوه بالصوتِ[1] والهيبةِ ، انكسرَت شجاعتُهم ، وماتت نجدتُهم ، واستأخرَت طاعتُهم إلى حينِ اختبارِهم ، ووقوعِ معرفتِهم ، وربما وقعَ البَوارُ قبلَ الاختبار .

وبباب المهدي ، وفّقه الله ، رجلٌ مَهيبٌ نبيهٌ حنيكٌ[2] صِيّتٌ ، له نسبٌ زاكٍ ، وصوتٌ عالٍ ، قد قاد الجيوشَ ، وساسَ الحروبَ ، وتألّف أهلَ خراسانَ ، واجتمعوا عليه بالثِّقَة[3] ، ووثقوا به كلَّ الثقةِ ، فلو ولاّه المهديُّ أمرَهم ، لكفاه الله شرَّهم .

قال المهدي : جانبتَ قصْدَ الرميّةِ ، وأبيتَ إلا عصبيّةً ، إذ رأيُ الحَدَثِ من أهلِ بيتِنا ، كرأي عشرةٍ حلماءَ من غيرِنا . ولكن أين تركتم وليَّ العهدِ ؟

قالوا : لم يمنعْنا من ذِكره إلا كونُه شبيهَ جدّه ، ونسيجَ

---

١ الصوت : الصيت .

٢ الحنيك : المحنك ، المجرب للامور .

٣ الثقة : الحب .

وحدِه ، ومن الدِّين وأهلـه ، بحيثُ يقصُرُ القولُ عن أدنى فضلِه ؛ ولكن وجدنا الله عزّ وجل حجَب عن خَلقِه ، وستَرَ من دون عِبادِه ، عِلمَ ما تختلفُ به الأيام ، ومعرفةَ ما تجري به المقاديرُ ، من حوادثِ الأمور ورَيبِ المَنون ، المخترمةِ[1] لحُوالي القرون ، ومواضي الملوك ، فكرهنا شُسوعه[2] عن محلّة المُلك ، ودارِ السلطان ، ومقرّ الإمامـة والولاية ، وموضعِ المدائنِ والخزائنِ ، ومستقرّ الجنود ، وموضعِ الوجوه ، ومَجْمعِ الأموال ، التي جعلها الله عزّ وجلّ قُطباً لمدار المُلك ، ومِصْيَدةً لقلوب الناس ، ومَثابـةً لإخوان الطمع ، وثُوّارِ الفِـتن ، ودواعي البِدَع ، وفُرسانِ الضَّلال ، وأبناءِ المُروق[3] ، وقلنا : إن وجّه المهدي وليّ عهـده ، فحدَث في جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل من قبله ، لم يستطع المهدي أن يُعقِبه بغيره ، إلا أن ينهَضَ إليهم بنفسه ، وهذا خطرٌ عظيمٌ ، وهولٌ شديدٌ ، إن تنفَّست الأيام بمقامه ، واستدامت الحال بأيامـه ، حتى يقع عَرَضٌ لا يُستغنى فيه ، أو يحدُثَ أمرٌ لا بد فيه منه ، صار ما بعده ، مما هو أعظمُ هولاً ، وأجلُّ خطَراً ، له تَبعاً ، وبه متّصلاً .

---

١ المخترمة : المهلكة .

٢ شسوعه : بعده .

٣ المروق : الخروج عن الطاعة .

قال المهديّ : الخطبُ أيسرُ مما تذهبون إليه ، وعلى غير ما تَصِفون الأمرَ عليه ؛ نحن ، أهلَ البيت ، نَجري من أسباب القضايا ، ومواقع الأمور ، على سابقٍ من العِلم ، ومحتومٍ من الأمر ، قد أنبأتْ به الكُتبُ ، وتتابعَت عليه الرسلُ ، وقد تناهى ذلك بأجمعه إلينا ، وتكاملَ بحذافيره عندنا ، فبه نُدبِّر ، وعلى الله نتوكّلُ . إنه لا بدَّ لوليّ عهدي ، ووليّ عهدي عَقِبي من بعـــدي ، أن يقودَ الى خُراسانَ البُعوثَ ، ويتوجَّـه نحوها بالجنود .

أمّا الأول فإنه يُقدِّمُ إليهم رُسُلَه ، ويُعْمِلُ فيهم حِيَله ، ثم يخرُجُ نَشِطاً إليهم ، حَنِقاً عليهم ، يُريدُ أن لا يدَعَ أحداً من إخوانِ الفِتَن ، ودواعي البِدَع ، وفُرسانِ الضَّلال ، إلاّ توطّأه بحرّ القتل ، وألبَسه قِناعَ القَهر ، وطوّقه طَوقَ الذُّلّ ؛ ولا أحداً من الذين عملوا في قَصّ جَنـــاح الفِتْنة ، وإخمادِ نار البِدعـة ، ونُصْرةِ وُلاة الحقّ ، إلا أجرى عليه دِيَم فضلِه ، وجَداولَ بَذله ؛ فإذا خرج مُزمِعاً له ، مُجْمِعاً عليه ، لم يَسِرْ الا قليلاً حتى يأتيَه أن قد عملَتْ حِيَلُه ، وكَدَحت كتبُه ، ونفذت مكايدُه ؛ فهدأتْ نافِرةُ القلوبِ ، ووقَعت طائرةُ الأهواء[1] ، واجتمع عليه المُختلفون بالرّضا ،

---

١ وقعت طائرة الأهواء : خمد غضبها وسكنت ثائرتها .

فيميل نظراً لهم ، وبِرّاً بهم ، وتعطّفاً عليهم ، الى عدوٍّ قد أخاف سبيلَهم ، وقطَع طريقَهم ، ومنع حُجّاجَهم بيتَ الله الحرام ، وسلَب تُجّارَهم رزقَ الله الحلال .

وأما الآخر فإنه يوجّه إليهم من يعتقدُ له الحُجّةَ عليهم بإعطاء ما يَطلبون ، وبَذلِ ما يسألون ، فإذا سَمَحت الفِرَق بقِرانها[1] له ، وجَنَح أهلُ النّواحي بأعناقِهم نحوه ، فأصغَتْ إليه الأفئدة ، واجتمَعت له الكلمة ، وقَدِمَت عليه الوفود ، قصَد لأوّل ناحية بخِعَت بطاعتِها[2] ، وألقَت بأزمّتها ، فألبَسها جَناحَ نِعْمتِه ، وأنزلها ظِلَّ كرامتِه ، وخصّها بعظيمِ حِبائه ، ثم عَمَّ الجماعةَ بالمَعدَلة ، وتعطّفَ عليهم بالرّحمة ، فلا تبقى فيهم ناحيةٌ دانيةٌ ، ولا فِرقةٌ قاصيةٌ ، إلا دخلت عليها بركتُه ، ووصلت إليها مَنفعتُه ، فأغنى فقيرَها ، وجبر كسيرَها ، ورفَع وضيعَها ، وزاد رفيعَها ، ما خلا ناحيتين : ناحيةً يغلِبُ عليهم الشقاء ، وتستميلُهم الأهواء ، فتستخِفُّ بدعوته ، وتُبطىء عن إجابته ، وتتثاقلُ عن حقّه ، فتكونُ آخرَ من يَبعثُ ، وأبطأ من يُوجّه ، فيضطمر[3] عليها مَوجِدةً ، ويبتغي لها عِلّةً ، لا

---

١ القران : الحبل يقلد ويقاد به .

٢ بخعت بطاعتها : أقرت بها .

٣ يضطمر : يضمر في نفسه ويخفي .

يلبثُ أن يجدَها بحقٍّ يلزمهم، وأمرٍ يجبُ عليهم، فتستلحِمُهم الجيوش، وتأكلهم السيوف، ويستحِرُّ فيهم القتل، ويُحيط بهم الأسر، ويُفْنيهم التتبُّع، حتى يُخرِّب البلاد، ويُوتِّمَ الأولاد.

وناحيةٌ لا يبسُطُ لهم أماناً، ولا يقبلُ لهم عهداً، ولا يجعل لهم ذِمّـــة، لأنهم أول من فتح باب الفُرقة، وتدرَّعَ جِلبابَ الفِتْنة، وربَض في شَقّ العصا، ولكنه يقتل أعلامَهم، ويأسِرُ قُوّادَهم، ويطلُبُ هُرّابَهم، في لُجج البحار، وقُلل الجِبال، وخَمَرِ[1] الأودية، وبطون الأرض، تَقْتيلًا وتَعْليلًا وتَنْكيلًا، حتى يدعَ الدّيارَ خراباً، والنساءَ أيامى، وهـذا أمر لا نَعْرِفُ له في كتبِنا وقتاً، ولا نصحّحُ منه غيرَ ما قلنا تفسيراً.

وأما موسى وليُّ عهدي، فهذا أوانُ توجّهه الى خُراسان، وحلولهِ بجُرجان، وما قضى الله له من الشُّخوص إليها، والمُقام فيها، خيرٌ للمسلمين مَغَبّةً وله، بإذنِ الله، عاقبةً من المُقام بحيث يُغْمَرُ في لُجَج بُحورنا، ومدافع سيولِنا، ومجامع أمواجنا، فيتصاغَرُ عظيمُ فضله، ويتذَأْأَب[2] مَشرقُ نوره،

---

١ الخمر: ما واراك من شجر.

٢ يتذأب: يضطرب.

ويُستقلُّ كثيرُ ما هو كائنٌ منه ؛ فمن يَصحَبُه من الوزراء، ومن يُختارُ له من الناس ؟

قال محمد بن الليث : أيها المهدي ، إن وليَّ عهدِك أصبح لأمّتك وأهلِ ملّتك عَلَماً قد تثنّت نحوه أعناقُها ، ومُدّت سَمْتَه أبصارُها ، وقد كان لقُربِ دارِه منك ، ومحلِّ جِوارِه لك : عُطْلَ الحالِ ، غُفْلَ الأمرِ ، واسعَ العُذرِ ؛ فأما إذا انفردَ بنفسه ، وخلا بنظره ، وصار الى تدبيره ، فإنَّ من شأن العامة ، وأمراء الأمة ، أن تتفقّد مخارجَ رأيه ، وتَستنصتَ لمواقعِ آثارِه ، وتسألَ عن حوادثِ أحواله ، في بِرّه ومَرحمتِه ، وإقساطِه ومَعْدَلتِه ، وتدبيرِه وسياستِه ، ووزرائِه وأصحابِه ، ثم يكونُ ما سبَقَ إليهم ، أغلبَ الأشياء عليهم ، وأملكَ الأمور بهم ، وألزمَها لقلوبهم ، وأشدَّها استمالةً لرأيهم ، وعطفاً لأهوائهم ؛ فلا يفتأ المهدي ، وفّقه الله ، ناظراً له فيما يقوّي عَمَدَ مملكتِه ، ويُسدّدُ أركانَ وِلايتِه ، ويَستجمِعُ رِضا أُمّته ، بأمرٍ هو أزْيَنُ لحالِه ، وأظهرُ لجمالِه ، وأفضَلُ مَغبّةً لأمره ، وأجلُّ موقِعاً في قلوب رعيّته ، وأحمدُ حالاً في نفوس أهل ملّته ؛ ولا أوقعَ مع ذلك باستجماع الأهواء له ، وأبلغَ في استعطافِ القلوب عليه ، من مَرحمةٍ تَظهرُ من فعلِه ، ومَعدلةٍ تَنتشِرُ من أثرِه ، ومحبّةٍ للخير وأهلِه ، وأن يختارَ المهديُّ ،

وفّقه الله ، من خيار أهل كل بلدةٍ ، وفُقهاء أهـل كل مصر ، أقواماً تسكُنُ العامة إليهم إذا ذُكروا ، وتأنَسُ الرعيَّة بهم إذا وُصِفوا ، ثم تُسهِّلُ لهم عِمارةَ سُبل الإحسان ، وفتحَ بابِ المعروف ، كما قد كان فُتِح له وسُهِّل عليه .

قال المهديّ : صدقتَ ونصحتَ . ثم بعث في ابنِه[1] موسى فقال : أي بُنيّ ، إنك قد أصبحتَ لسَمْتِ[2] عُيونِ العامـة نُصْباً ، ولمَثْنى أعطافِ الرعيَّةِ غايةً ، فحسنَتُـك شامِلةٌ ، وإساءتُك نامية ، وأمرُك ظاهرٌ ؛ فعليك بتقوى الله عزّ وجلّ وطاعتِه ، فاحتمِل سُخْطَ النـاس فيهما ، ولا تطلُب رِضاهم بخلافهما ، فإنّ الله عزّ وجـلّ كافيك مَنْ أسْخَطه عليـك إيثارُك رِضاه ، وليس بكافيك من يُسخِطُـه عليك إيثارُك رِضا مَنْ سواه .

ثم اعلم أن لله تعالى في كل زمان عِترةً من رُسله ، وبقايا من صَفوةِ خَلْقِه ، وخبايا لنُصرةِ حقّـــه ؛ يُجدّدُ حبْلَ الإسلامِ بِدَعواهم ، ويشيّدُ أركانَ الدينِ بنُصرتهم ، ويتّخِذُهم لأولياءِ دينه أنصاراً ، وعلى إقامةِ عَدله أعوانـاً ، يَسُدُّون الخَللَ ، ويُقيمون المَيَلَ ، ويَدفعون عن الأرضِ الفسادَ .

---

١ بعث في ابنه : بعث من يطلبه ويأتي به .

٢ السمت : المحجة .

وإنّ أهل خُراسانَ أصبحوا أيديَ دولتِنا ، وسُيوفَ دعوتِنا ، الذين نستدفِعُ المَكارهَ بطاعتِهم ، ونصرِفُ نزولَ العظائمِ بمُناصحتِهم ، وندافعُ رَيبَ الزمانِ بعزائمِهم ، ونزاحمُ رُكْنَ الدهر ببصائرِهم ، فهم عمادُ الأرضِ إذا أُرْجِفَت كنُفُها ، وحتوفُ الأعداءِ إذا برزَت صفْحتُها ، وحصونُ الرعيّة إذا تضايَقت الحالُ بها ، قدمضَت لهم وقائعُ صادقاتٌ ، ومواطنُ صالحاتٌ ، أخْمدَت نيرانَ الفتَن ، وقصمَت دواعي البِدَع ، وأذلّت رِقابَ الجبّارين . ولم ينفكّوا كذلك ما جَرَوْا مع ريحِ دولتِنا ، وأقاموا في ظلّ دعوتنا ، واعتصَموا بحبْلِ طاعتِنا ، التي أعزّ الله بها ذِلّتَهم ، ورفَع بها ضَعتَهم ، وجعلَهم بها أرباباً في أقطار الأرَضين ، ومُلوكاً على رِقاب العالمين ، بعدَ لِباسِ الذُلّ ، وقِناعِ الخوفِ ، وإطباقِ البلاءِ ، ومخالفةِ الأسى ، وجَهْدِ البأسِ والضُرّ .

فظاهِرْ عليهم لباسَ كرامتِك ، وأنزِلهم في حدائقِ نعمتِك ، ثم اعرف لهم حقّ طاعتِهم ، ووسيلةَ دالّتِهم ، وماتّةَ سابقتِهم ، وحُرمَةَ مناصحتِهم ، بالإحسانِ إليهم ، والتّوْسِعة عليهم ، والإثابة لمُحسِنهم ، والإقالة لمُسيئهم .

أي بُنيّ ، ثمّ عليك العامّةَ ، فاستدعِ رضاها بالعدلِ عليها ، واستجلِبْ مودّتها بالانصافِ لها ، وتَحسّن بذلك لربّك ،

وتزيَّن به في عينِ رعيَّتِك، واجعل عُمّالَ القَدْرِ[1]، وولاةَ الحُجَجِ، مُقدَّمةً بين يدي عملِك، ونَصَفةً منك لرعيَّتِك، وذلك أن تأمرَ قاضي كل بلدٍ، وخيارَ أهل كلِّ مِصرٍ، أن يختاروا لأنفسِهم رجلًا تولّيه أمرَهم، وتجعلُ العدلَ حاكماً بينه وبينهم، فإن أحسنَ حُمِدْتَ، وإن أساء عُذرْتَ.

هؤلاء عمّالُ القَدْرِ وولاةُ الحُجَجِ؛ فلا يَضيعنَّ عليك ما في ذلك، إذا انتشرَ في الآفاقِ، وسبقَ إلى الأسماعِ، من انعقادِ ألسنةِ المُرْجِفين، وكَبْتِ قلوبِ الحاسدين، وإطفاءِ نيرانِ الحروب، وسلامةِ عواقبِ الأمور.

ولا ينفكَّنَّ في ظلِّ كرامتِك نازلاً، وبعُرَا حبْلِك متعلّقاً، رجلان: أحدُهما كريمةٌ[2] من كرائم رجالات العرب، وأعلامِ بيوتاتِ الشرفِ، له أدبٌ فاضلٌ، وحلمٌ راجحٌ، ودينٌ صحيحٌ؛ والآخرُ له دينٌ غيرُ مغمورٍ، وموضِعٌ غيرُ مدخولٍ، بصيرٌ بتقليبِ الكلام، وتصريفِ الرأي، وأنحاءِ الأدبِ، ووضعِ الكُتُبِ، عالمٌ بحالاتِ الحروبِ، وتصاريف الخُطوبِ، يَضَعُ آداباً نافعةً، وآثاراً باقيةً، من تجميلِ محاسِنك، وتحسينِ أمرِك، وتَحليةِ ذِكرِك، فتَستشيرُه في

---

١ عمال القدر: ذوي الشرف والحسب.

٢ الكريمة: الكريم، والتاء للمبالغة.

حربِك ، وتُدخِلُه في أمرِك ، فرجلٌ أصبتَه كذلك فهو يأوي إلى محلّتي ، ويرعى في خضرةِ جناني .

ولا تَدَعْ أن تختارَ لك من فُقهاءِ البُلدانِ ، وخِيارِ الأمصارِ ، أقواماً يكونون جيرانَك وسُمّارَك ، وأهلَ مُشاورتِك فيما تورِدُ ، وأصحابَ مناظرتِك فيما تُصدِرُ ، فسِر على بركةِ الله ، أصحبَك اللهُ من عونِه وتوفيقِه دليلاً يَهدي إلى الصّوابِ قلبَك ، وهادياً يُنطِقُ بالحقّ لسانَك .

وكُتب في شهر ربيعٍ الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد .

•

مداراة العدو

في كتابٍ للهندِ : إنّ العدوّ الشديدَ الذي لا تَقوى له لا تَرُدّ بأسَه عنك بمثلِ الخُشوعِ والخضوعِ له ، كما أنّ الحشيشَ إنما يسلَمُ من الريحِ العاصفةِ بِلينه وانثنائه معها .

•

وقالوا : ازفِنْ[1] للقِردِ في دولتهِ .

•

وقال أحمد بن يوسف الكاتب : إذا لم تقدِر أن تَعَضّ يدَ عدوّك فقَبّلْها .

•

وقال سابقُ البَلَويّ :

وداهِنْ إذا ما خِفْتَ يوماً مُسلَّطاً
عليك ، ولن يحتالَ مَنْ لا يُداهنُ

•

---

١ ازفن : ارقص .

وقالتِ الحكماء : رأسُ العَقْلِ مُغافصة[1] الفُرصةِ عند إمكانِها ، والانصرافُ عمّا لا سبيلَ إليه .

•

وقال الشاعر :

بَلاءٌ ، ليس يُشْبِهُهُ بَلاءٌ ، عداوةُ غيرِ ذي حَسَبٍ ودِينِ

يُبيحُكَ منه عِرْضاً لم يصُنْه ، ويرتعُ منك في عِرْضٍ مَصُونِ

•

---

١ المغافصة : المفاجأة والأخذ على غرة .

التحفظ من العدو

ان ابدى لك المودة

قالت الحكماء : احذَر المَوتورَ ولا تطمئنّ إليه ، وكنْ أشدّ ما تكونُ حَذَراً منه ألطفَ ما يكونُ مُداخَلةً لك ، فإنما السلامةُ من العدوّ بتباعُدِك منه ، وانقباضِك عنه ؛ وعند الأنس إليه والثقةِ به تمكّنُه من مَقاتلِك .

•

وقالوا : لا تطمئنّ الى العدوّ إن أبدى لك المُقاربة ، وإن بَسَط لك وَجهَه ، وخَفَّض لك جَناحَه ، فإنه يتربّصُ بك الدّوائرَ ، ويُضْمِرُ لك الغَوائلَ ، ولا يرتجي صَلاحاً إلا في فَسادِك ، ولا رِفْعةً إلا بسقوطِ جاهِك .

كما قال الأخطل :

بَني أُميّةَ إني ناصحٌ لكمُ ،
فلا يَبيتنّ فيكم آمناً زُفَرُ[1]

---

١ هو زفر بن الحارث بن كلاب الكلابي أحد زعماء القيسية .

وأتخذوه عدوًّا ، إنّ شاهدَه
وما تَغيَّب من أخلاقه دَعَرُ[1]

إنّ الضّغينة تلقاها ، وإن قَدُمت ،
كالعُرّ يَكمُن حيناً ، ثم ينتشِرُ[2]

•

وفي كتاب الهند : الحازمُ يحذَرُ عدوَّه على كلّ حال ، يحذَرُ المُواثبةَ إن قَرُبَ ، والمُعاودةَ إن بَعُدَ ، والكمينَ إن انكشفَ ، والاستطرادَ إن ولّى ، والكَرّةَ إن فرّ .

•

وأوصى بعضُ الحكماء ملكاً فقال : لا يكونَنّ العدوُّ الذي كشفَ لك عن عداوته بأخوفَ عندك من الظّنين الذي يَستترُ لك بمُخاتلته ، فإنه ربما تخوّفَ الرجلُ السُّمَّ الذي هو أقتلُ الأشياء ، وقتلَه الماءُ الذي هو مُحيي الأشياء ؛ وربما تخوّفَ أن تقتلَه المُلوكُ التي تَملِكُه ، ثم تَقتُلُه العبيدُ التي يملِكُها .

•

ولم يقل أحد في العدوّ المُندمِل العداوة ، مثلَ قول الاخطل :

---

١ الدعر : الفساد .

٢ العر : الجرب .

إنَّ الضَّغينةَ تَلقاها ، وإن قَدُمت ،
كالعُرِّ يكمُن حيناً ، ثم يَنتشرُ

وقد أشار الحسن بن هانىء الى هـذا المعنى فأجاده حيث يقول :

وابنِ عـمٍّ ، لا يُكاشِفُنا ، قد لبِسناه على غَمَرِه[1]
كَمَنَ الشَّنآنُ ، فيه لنا ، ككُمونِ النار في حَجَرِه[2]

•

وشبَّهوا العدوَّ إذا كان هذا فعلَه بالحيّة المُطرقةِ . قال ابن أخت تأبَّط شرّاً :

مُطرِقٌ يَرشَحُ مَوتاً ، كما
أطرقَ أفعى يَنفُثُ السُّمَّ صِلُّ[3]

•

وقال عبد الله بن الزبير لمعاوية ، ويقال : بـل معاوية قالها لعبد الله بن الزبير : ما لي أراك تُطرِقُ إطراقَ الأفعوانِ في أصول الشجر ؟

•

---

١ الغمر : الحقد .
٢ الشنآن : البغض . واراد بحجره : حجر القادح .
٣ يرشح : يعرق . ينفث : يقذف . الصل : الأفعى .

وفي كتاب الهند : إذا أحدثَ لك العدو صداقةً لعِلّةٍ ألجأته إليك فمع ذهابِ العِلّة رجوعُ العَداوةِ ، كالماءِ تُسخّنه ، فإذا أمسكتَ عنه عادَ الى أصلِه بارداً ؛ والشجرةُ المُرّة لو طَلَيتَها بالعسل لم تُثمِر إلا مُرًّا .

•

وقال دُريد بن الصمة :

وما تَخفى الضغينةُ حيث كانت ، ولا النظرُ المريضُ من الصحيحِ

•

وقال زُهير :

وما يكُ في صديقٍ ، أو عدُوٍّ ، تُخبِّرك العيونُ عن القلوبِ

•

وقيل لزياد : ما السرورُ ؟ قال : مَن طال في العافيةِ والكفايةِ عُمرُه ، حتى يرى في عدوِّه ما يَسرُّه .

من أخبار الازارقة

كان أولَ من خرجَ من الخوارجِ بعد عليّ رضي الله عنه : حوثرةُ الأقطعُ ، فإنه كانَ خرجَ إلى النُّخيلةِ واجتمعَ إليه جماعةٌ من الخوارجِ ؛ ومعاويةُ بالكوفةِ ، وقد بايعَه الحسنُ والحُسينُ وقيسُ بن سعد بن عُبادة ، ثم خرجَ الحسنُ يُريدُ المدينةَ ، فوجَّه إليه معاويةُ ، وقد تجاوزَ في طريقِه ، يسألُه أن يكونَ المُتولّي لمحاربتِهم ؛ فقال الحسنُ عليه السلام : والله لقد كَففتُ عنكَ لحقْنِ دماءِ المسلمين ، وما أحسِبُ ذلك يسَعُني ، فكيف أن أُقاتلَ قوماً أنتَ أولى بالقتالِ منهم !

فلما رجَع الجوابُ إليه ، وجَّه إليهم جيشاً أكثرُه من أهلِ الكوفة ، ثم قال لأبي حَوثرةَ : تقدَّم فاكفِني أمرَ ابنِك .

فسار إليه أبوه ، فدعاه إلى الرجوعِ ، فأبى ، فداوره فصمّمَ ؛ فقال له : أي بني ، أجيئُك بابنِك لعلَّك تَراه فتَحِنَّ إليه .

فقال له : يا أبتِ ، أنا واللهِ إلى طعنةٍ نافذةٍ أتقلّبُ فيها على كُعوبِ الرُّمح أشوقُ مني إلى ابني .

فرجعَ إلى معاويةَ فأخبرَه ؛ فقال : يا أبا حوثرةَ ، عَتَا[1] هذا .

فلما نظر حوثرة إلى أهلِ الكوفة ، قال : يا أعداءَ اللهِ ، أنتُم بالأمسِ تقاتلون معاويةَ لتَهُدُّوا سُلطانَـــه ، واليومَ تقاتلون معَه لتشدُّوا سلطانَه . ثم جعلَ يتشدَّدُ عليهم ويقول:

احمِلْ على هـذي الجُموعِ حوثره ،
فَعنْ قريبٍ ستَنـالُ المَغفِره

فحمل عليه رجل من طيّءٍ فقتلَه ، فرأى أثرَ السُّجودِ قد لوّحَ جبهتَه ، فنَدِم على قتلِه .

•

وكان مِرداسُ أبو بِلال قد شهِدَ صِفّين مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأنكرَ التحكيمَ ، وشهِدَ النَّهْروان[2] ونجا فيمن نجا .

فلمـا خرج من حبْس ابن زياد[3] ، ورأى شـدّة الطلبِ للشُّراةِ[4]، عَزَم على الخُروجِ ، فقال لأصحابه : إنه واللهِ ما

---

١ عتا : استكبر وجاوز الحد .

٢ شهد النهروان : اي موقعة النهروان ، وهي وقعة مشهورة دارت في كورة النهروان بين علي بن ابي طالب والخوارج .

٣ ابي عبد الله بن زياد ، حبس مرداساً ، ثم خلى عنه .

٤ الشراة : الخوارج . قال الجوهري : سموا بذلك لقولهم : انا شرينا انفسنا في طاعة الله ، اي بعناها بالجنة حين فارقنا الائمة الجائرة .

يسَعُنا المُقامُ مع هؤلاء الظالمين ، تَجري علينـــا أحكامُهم ، مُجانبينَ للعَدْل مُفارِقين للفصْل[1] ، والله إنّ الصبرَ على هذا لَعظيمٌ ، وإنّ تجريدَ السيفِ وإخافةَ السبيلِ لشديدٌ ، ولكنّا ننتَبِذ[2] عنهم ولا نجرّدُ سيفاً ولا نُقاتلُ إلا مَنْ قاتلنا .

فاجتمع إليه أصحابُه زهاءَ ثلاثين رجلًا ؛ منهم : حُرَيث ابن حَجْل وكَهْمسُ بن طَلْق ، فأرادوا أن يُولّوا أمرهم حُرَيْثاً فأبى ، فولّوا أمرهم مِرداساً .

فلما مضى بأصحابه لقيهم عبدُ الله بن رَباح الأنصاريّ ، وكان له صديقاً ، فقال له : يابن أخي ، أين تريد ؟

فقال : أريـــد أن أهرُب بديني ودين أصحابي من أحكام هؤلاء الجَوَرة .

قال له : أعَلِم أحدٌ بكم ؟

قال : لا .

قال : فارجع .

قال : أوَتخافُ عليّ مكروهاً ؟

قال : نعم ، وأن يُؤتى بك .

---

١ الفصل : قول الحق . والقضاء بين الحق والباطل .

٢ ننتبذ : نتنحى .

قال : فلا تَخف ، فإني لا أُجرّدُ سيفاً ، ولا أُخيفُ أحداً ، ولا أُقاتِلُ إلا مَن قاتلني .

ثم مضى حتى نزل آسَك[1] ، فمرّ به مالٌ يُحمَلُ إلى ابن زِيادٍ ، وقد بلغ أصحابُه الأربعين ، فحَطّ ذلك المالَ فأخذ منه عَطاءَه وأعطياتِ أصحابه وترك ما بقي ، وقال : قولوا لصاحبكم : إنما أخَذْنا أعطياتِنا .

فقال له أصحابه : لماذا تترُكُ الباقي ؟

قال : إنهم يَقْسِمون هذا الفَيءَ كما يُقيمون الصلاةَ ، فلا تقاتِلوهم ما داموا على الصلاةِ .

فوجّه إليهم ابنُ زيادٍ أَسْلَمَ بن زُرْعَةَ الكِلابيّ في أَلفين ، فلما وصَلَ إليهم ، قال له مِرْداس : اتّقِ اللهَ يا أسلَم ، فإنّا لا نريدُ قِتالاً ولا نُروِّعُ أحداً ، وإنما هَرَبْنا من الظُّلمِ ، ولا نأخذُ من الفَيءِ إلا أعطياتِنا ، ولا نقاتِلُ إلا من قاتَلنا .

قال : لا بُدَّ من ردِّكم الى ابن زياد .

قال : وإن أرادَ قتلَنا .

قال : وإن أرادَ قتلَكم .

قال : فتُشرِكَ في دمائنا .

قال : نعم .

---

١ آسك : بلدة بالأهواز .

فشدّوا عليه شدّةَ رجل واحد فهزموه وقتلوا أصحابَه .

ثم وجّه إليهم ابنُ زيادٍ عبّاداً[1] فقاتلهم يوم الجمعةِ حتى كان وقتُ الصلاةِ ، فناداهم أبو بلال : يا قوم ، هذا وقتُ الصلاةِ فوادِعُونا حتى نُصلّي .

فوادعوهم . فلما دخلوا في الصلاة شدّوا عليهم فقتلوهم ، وهم بينَ راكعٍ وساجدٍ وقائمٍ في الصلاةِ وقاعد ، فقالَ عمْرانُ بنُ حِطّان يرثي أبا بلال :

يا عينُ بكّي لمِرْداسٍ ومَصْرَعِه ،
يا رَبَّ مِرْداسٍ اجعَلْني كمِرداسِ

أبقيتَني هائماً أبكي لِمَرْزِئتي ،
في مَنْزِلٍ مُوحِشٍ من بَعدِ إيناسِ

أنكرتُ بَعدَكَ ما قد كنتُ أعْرِفه ،
ما الناسُ بَعدَكَ يا مِرْداسُ بالنّاسِ

إمّا شربتَ بكأسٍ دارَ أوّلُها
على القُرون ، فذاقوا جُرْعةَ الكاسِ

•

وليسَ في الفِرَق كلها أشَدُّ بصائرَ من الخوارجِ ، ولا

---

١ هو عباد بن أخضر ، واخضر زوج أمه ، فنسب اليه .

أكثر اجتهاداً ، ولا أوطَن أنفساً على الموت ، فمنهم الذي طُعِنَ فأنفذَه الرمحُ فجعلَ يسعى إلى قاتِله ويقول : عَجِلْتُ إليك ربِّ لترضى .

•

ولما مالتِ الخوارجُ إلى أصبَهانَ حاصَرتْ بها عَتّابَ بنَ ورقاءَ سبعةَ أشهُرٍ يقاتلهم في كل يوم فيُناديهم :

يابنَ أبي الماحوز والاشرارِ ، كيف تَرَوْن ياكِلابَ النارِ[1]

شَدَّ أبي هُريرةَ الهَرّارِ ، يَعْروكُمُ بالليلِ والنهارِ[2]

وهو من الرحمنِ في جِوارِ

فتعاظَمَهم ذلك . فكَمَن له عَبيدةُ بنُ هلالٍ فضربَـــه ، واحتَمله أصحابُه ، فظنّتِ الخوارجُ أنه قد قُتلَ ، فكانوا إذا تواقَفوا ينادونهم : ما فعل الهَرّارُ ؟

فيقولون : ما به من بأس ؛ حتى أبلّ من عِلّته . فخرج إليهم ، فقال : يا أعداءَ الله ، أترونَ بي بأساً ؟

فصاحوا به : قد كنّا نرى أنك لَحِقْتَ بأمّك الهاويةِ في النارِ الحامية .

---

١ هو الزبير بن علي بن الماحوز ، وكان على الخوارج .

٢ ابو هريرة : كنية رجل يقال له شريح وكان مع عتاب .

فلما طال الحِصارُ على عَتّاب ، قال لأصحابه : ما تنتظرون ؟ إنكم والله ما تُؤتَوْن من قِلّة ، وإنكم فُرسانُ عشائرِكم ، ولقد حاربتموهم مِراراً فانتصَفتم منهم ، وما بقي من هذا الحِصارِ إلا أنْ تَفْنى ذخائرُكم ، فيموتَ أحدُكم فيَدْفِنَه صاحبُه ، ثم يموتَ هو فلا يجد من يَدْفِنُه ، فقاتِلوا القومَ وبكم قُوّةٌ من قبلِ أن يضعُفَ أحدُكم عن أن يمشيَ إلى قِرْنه .

فلما أصبَح صلّى بهم الصبحَ ، ثم خرجَ إلى الخوارجِ وهم غارّون[1] ، وقد نَصبَ لواءً لجاريةٍ يقال لها ياسمين ، فقال : من أراد البقاءَ فليلحَق بلواءِ ياسمين ، ومن أراد الجِهاد فليلحق بلوائي .

قال : فخرجَ في ألفينِ وسبعمائة فارسٍ ، فلم تشعُر بهم الخوارجُ حتى غَشُوهم ، فقاتَلوهم بجِدٍّ لم تَرَ الخوارجُ مثلَه ، فقتلوا أميرَهم الزُّبيرَ بن عليّ وانهزمت الخوارجُ ، فلم يَتبعهم عتّاب بن ورقاء .

•

وخرجَ قُرَيبُ بن مُرّةَ الأزْديُّ وزحّافٌ الطائيُّ ، وكانا مجتهدَين بالبصرةِ في أيامِ زيادٍ ، فاعترضا الناسَ ، فلَقِيا شيخاً

---

١ غارون : غافلون .

من بني ضُبيعة فقتلاه ، وتنادى الناسُ ، فخرج رجل من بني قُطَيْعة بالسيف ، فناداه الناسُ من بعض البيوت : الحَرورِيّةَ ، انجُ بنفسِك .

فنادَوْه : لسنا حروريّةً ، نحن الشُّرَطُ ؛ فوقف فقتلوه .

وبلغ أبا بِلالٍ خبرُهما ، وكان على دين الخوارجِ إلا أنه كانَ لا يرى اعتراضَ الناسِ ، فقال : قُرَيبٌ ، لا قرّبَه الله من الخير ؛ وزحّافٌ ، لا عفا الله عنه ، فلقد ركباها عَشْواء مُظْلمة[1] .

ثم جعلا لا يمُرّان بقَبيلة إلا قتلا مَن وجَدا فيها ، حتى مرّا ببني عليّ بن سودٍ ، من الأزد . وكانوا رُماةً ، وكان فيهم مائةٌ يجيدون الرَّمي ، فرَموهم رمياً شديداً ، فصاحوا : يا بني عليّ ، البُقيا ، لا رِماء بيننا .

فقال رجل منهم :

لا شيءَ للقومِ سوى السهامِ ، مشْحوذةً في غَلَسِ الظلامِ

فهربَت عنهم الخوارجُ ، فاشتقّوا مقبُرةَ بني يشْكرٍ حتى خرجوا إلى مُزَينة ، واستقبلهم الناس فقُتلوا عن آخرِهم .

---

١ اي سارا في امرهما على غير هدى ، واواد اعتراضهما للناس .

ثم عاد الناس الى زياد، فقال: ألا ينهى كلُّ قومٍ سفهاءهم؟ فكانت القبائلُ إذا أحسّت بخارجيٍّ فيهم أوثقوه وأتوا به زياداً، فمنهم من يَحبسه ومنهم من يقتله.

ولزيادٍ أخرى في الخوارج: أنه أُتيَ بامرأةٍ منهم فقتلها، ثم عَرَّاها، فلم تَخْرُجِ النساءُ إلا بعد زياد، وكُنَّ إذا أُرغِمْنَ على الخروجِ قلنَ: لولا التَّعريةُ لسارَعْنا.

•

ومن مشاهيرِ فُرسانِ الخوارج: عمرو القَنا، من بني سعد بن زيد مَناةٍ، وعَبيدةُ بنُ هلال، من بني يَشكُر بن بكر بن وائلٍ، وهو الذي طعَن صاحبَ المهلَّبِ في فخذهِ، فشكَّها مع السَّرْج. وهما اللذان يقول فيهما ابن المُنْجِبِ السَّدُوسي من فُرسان المهلَّب، وكان قال له مولاه خِلاج: وَدِدْتُ أنّا فَضَضنا عسكرَهم، فأستلِبَ منه جاريتين، إحداهما لك وأخرى لي:

أخِلاجُ إنك لن تُعانِقَ طَفْلةً،
شَرِقاً بها الجاديُّ كالتِّمثالِ[1]

---

١ الطفلة: الناعمة. الجادي: الزعفران، نسبة الى جادية: قرية من عمل البلقاء من أرض الشام.

حتى تُعانِقَ في الكتيبةِ مُعلِماً،
عمرَو القَنا وعَبيدةَ بنَ هِلالِ[1]

وترى المُقعطَرَ في الكتيبة مُقدِماً،
في عُصْبةٍ قَسَطوا مع الضُلاّلِ[2]

والمُقعطَرُ: من مشاهيرِ فُرسانِهم. وقَطَريّ: أنْجَدُهم قاطبةً. وصالحُ بن مِخْراقٍ: من بُهَمِهم؛ وكذلك سَعْدُ الطَّلائع.

•

ولما اختلَف أمرُ الخوارج وانحاز قَطَريّ فيمن معه وبقي عبدُ ربّه، قال المهلَّب لأصحابه: إن اللهَ تعالى قد أراحَكم من أقرانٍ أربعة: قَطَريّ بنِ الفُجاءةِ، وصالحِ بنِ مِخْراقٍ، وعَبيدةَ بنِ هلالٍ، وسعدِ الطَّلائع؛ وإنما بين أيديكم عبدُ ربّه في خُشّارٍ[3] من خُشار الشيطان.

•

وكانتِ الخوارجُ تقاتلُ على القَدَح يؤخَذُ منها والسَّوْطِ

---

١ المعلم: الذي قد شهر نفسه بعلامة.
٢ المقعطر: من عبد القيس. قسطوا: جاروا.
٣ الخشار: سفلة الناس ورذالهم.

والعِلقِ[1] الحسيسِ أشدَّ قتالٍ . وسقَط في بعضِ أيامِهم رُمحٌ لرجُلٍ من مُرادَ من الخوارجِ فقاتلوا عليه حتى كثُر الجِراحُ والقتلُ ، وذلك مع المغرِب ، والمراديُّ يرتجزُ :

الليلُ ليلٌ فيه وَيْلٌ وَيْلُ ، وسالَ بالقومِ الشُّراةِ السَّيلُ

إنْ جازَ للأعداءِ فينا قَوْلُ

•

وتفرّقَتْ مَقالةُ الخوارجِ على أربعةِ أضْرُبٍ . فقال نافعُ بنُ الأزْرَق باستعْراضِ الناسِ[2] ، والبراءةِ من عُثمانَ وعليٍّ وطلحةَ والزُّبيرِ ، واستِحْلالِ الأمانةِ ، وقَتْلِ الاطفال .

وقال أبو بَيْهَسٍ هَيْصمُ بنُ جابرٍ الضُّبَعيّ : إنّ أعداءَنا كأعداءِ الرسول صلى الله عليه وسلّم يَحِلُّ لنا المُقامُ فيهم كما أقامَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأقامَ المُسْلمون بين المشرِكين . وأقولُ : إنّ مُناكحتَهم ومواريثَهم تجوزُ ، لأنهم مُنافقون يُظْهِرون الإسلامَ ، وأنّ حُكْمَهم عند الله حُكم المشرِكين .

---

١ العلق : الجراب أو الترس أو السيف .

٢ يريد اعتراضه الناس يقتلهم لا يبالي أمسلماً قتل أم كافراً .

وقال عبدُ الله بنُ إباضٍ : لا نقولُ فيمن خالَفنا ، إنه مُشركٌ ، لأنّ معَهم التّوْحيدَ والاقرارَ بالكتابِ والرسولِ ، وإنما هُم كُفّارٌ للنّعَمِ ، ومواريثُهم ومَناكيحُهم والإقامةُ معَهم حِلّ ، ودَعْوةُ الاسلامِ تجْمعُهم .

وقالت الصُّفريةُ بقول عبدِ الله بنِ إباضٍ ، ورأتِ القعودَ حتى صارت عامّتُهم قَعَداً[1] . وإنما سُمّوا صُفْريةً لاصْفِرار وُجوهِهم ، وقيل : لأنهم أصحاب ابن الصّفّار .

•

١ القعد : المقيمون من الخوارج بين أظهر أعدائهم من المسلمين .

تحت ظلال القنا

كتاب الحروب ٥
صفة الحروب ٦
العمل في الحروب ١٣
الصبر والاقدام في الحرب ١٧
فرسان العرب في الجاهلية والاسلام . . . ٤٣
المكيدة في الحرب ٥٣
وصايا أمراء الجيوش ٦٢
المحاماة عن العشيرة ومنع المستجير . . . ٧١
الجبن والفرار ٧٨
فضائل الخيل ٩٧
صفة جياد الخيل ٩٨
سوابق الخيل ١١٥
الحلبة والرهان ١٢٩
وصف السلاح ١٣٢
النزع بالقوس ١٤٣
مشاورة المهدي لاهل بيته في حرب خراسان . ١٥٢
مداراة العدو ١٨٤
التحفظ من العدو ان ابدى لك المودة . . ١٨٦
من أخبار الازارقة ١٩٠

العقد الفريد

١ السلطان وعدل ساعة
٢ تحت ظلال القنا
٣ الأيدي السخيّة

892.7811314ikA:v.2:c.1
البستاني، كرم
العقد الفريد
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01042080

American University of Beirut

[redacted]

General Library

892.708
I132ikaA
v.2
c.1